10 me Année No. 453

Lundi - 9 - 3 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

دروس في الحـــرب

هل تنسى ؟ . . .

للأستاذ عباس محمود العقاد

واحدة . اثنتان . ثلاث ... ثمان ...

ومضى صاحبي يعد الفتيات اللائى يعبرن بنا فى الظلام واحدة بعد واحدة حتى أربى العد على العشرين ، وكلهن يعبرن الطريق المظلم منفردات كأنهن رجال ، وقلّ فى الطريق من يلتفت إليهن ، أو يريهن أنهن أخطأن بالخروج فى هذا الليل على انفراد ، أو يعجب كما عجب القائل :

ثم قالتْ وأحسَّتْ عَجَبى
من سُراها حيث لا تسرى الأسود
لا تَعجّب يا حبيبى فالسرى
عادة الأقمار والناس هجود

قال صاحبي : لو خرج هؤلاء فى ليلة كليلتنا هذه فى القرن الماضى كيف كن يخرجن ؟

كن يخرجن والمصباح أمامهن فى يد الخصى أو الخادم إن كن من ربات الخدم والخصيان ، أو كن يتسللن فى استخفاء كتسلل اللصوص إن لم يكنّ من ذوات اليسار

قلت : فإن كانت فتيات اليوم لا يحتمين بحارس ولا مصباح

فما أظن العلامة كلها علامة خير ! من يدريك يا صاحبي لم لا يلتفت إليهن أحد من أولئك المدلجين في الظلام ولم لا يلتفتن إلى أحد ؟ لعل كل عابر من أولئك المدلجين ذاهب إلى موعد ! ولعل كل عابرة من أولئك المدلجات ذاهبة إلى موعد مثله ! ومن لم يكن من الرجال على موعد فلعل الذي يثنيه عن المناوشة والمغازلة علمه أن الفتاة المصرية تجرؤ على الابتداء أو على الإيماء والإيحاء ولا تنتظر حتى يجيء الابتداء من الرجال . فإذا رآها معرضة أو جادة في الطريق علم أن ابتداءه بالمناوشة والمغازلة لا يفيد ، وأن الأكرم له أن يمضي في سبيله حتى تبدر له إشارة من إشارات التشجيع

ليس كله يا صاحبي بخير !

ليس كل هـذا من الصيانة بل فيه كثير من الابتذال والهوان ، وليست كل شجاعة المرأة خيراً بل حياؤها وجبنها أكرم لها من هذه الشجاعة في بعض الآراء

وانتقل الحديث من عابرات الظلام إلى الظلام نفسه فقال الصديق : والله لقد ألفناه حتى استحببناه ، ووالله إن الإنسان ليخرج من البيت إلى الطريق كأنه على العكس خارج من الطريق إلى البيت ، لأن في الظلام معنى الاستكنان والإيواء ، وفي النور معنى العموم والشيوع . فإذا تجاوز أحدنا الباب فكأنه خارج من عالم حافل بالناس والمناظر إلى عالم لا مناظر ولا ناس فيه .

قلت : ما أدرى إن عشنا كيف تفاجئنا القاهرة أول ما تضاء كما كانت تضاء في أيام السلم قبل سنوات ؟ إخالنا سنحسبها ليلة عيد أو مهرجان ؛ وإخالهم لا يصنعون في احتفالهم بالسلم أكثر من إضاءتهم المدن كما كانت تضاء .

قال صاحبي وكأنه خاف على ظلامه الذي ألفه واستراح إليه : أو عائدون نحن إلى تلك الأضواء المسرفة لا محالة ؟ لم لا نستفيد من دروس الحرب ونقنع بهذا النصيب من النور الذي يهدينا إلى حيث نشاء ؟ فإن لم يقنعنا هذا النصيب فلم لا نزيده بمقدار ما نتقي بعض الأضرار التي نحذرها الآن ؟ . . . لم لا نقنع بربع ذلك الضوء الذي كنا نسفكه على الأرض أو على الوجوه التي هي شر من الأرض قبل سنوات ؟

قلت أداعبه : نعم . أو على الوجوه التي تعدها الآن ولا تراها ! ! ولو رأيتها لما كنت ارتقيت بالتعداد إلى العشرين وما فوق العشرين !

وكان صاحبي جائعاً فوقف عند دكان من دكاكين الشطائر وقال : بإذنك يا عضو المجمع اللغوي ... ألا تأذن لنا في « شاطر ومشطور والطازج بينهما » ؟

يريد صاحبي ما شاع على ألسنة العامة من تسمية المجمع للشطيرة أو « السندويتش » بذلك الاسم المطول الذي يدل على وليمة كاملة ، لا على لقمة تتناولها الأصبعان

قلت أداعبه أيضاً أو أنتقم منه : بل في بلغة إن أردت ! !

قال : أو هذه تسمية المجمع ؟ أو هو تصحيح وترجيح ؟

قلت : إنك لأحرى أن تصدق هذه التسمية الصحيحة من تصديقك تلك التسمية التي لا تساغ ولو على سبيل المزاح . والبلغة أخف من الطازج بين الشاطر والمشطور

ثم ذكر صاحبي أن اليوم من أيام النبات وليس من أيام اللحوم . فعاد إليَّ برد انتقامي وسألني :

أو يعجب هذا صاحبك المعرى ؟ . . . ما زلتم تهتفون باسم هذا الرجل حتى أوشكنا أن نقتصر على العدس والتين مثله . فلا تزيدوا بربكم من ذكره لكيلا نلتزم البيوت ولا نرى في الدنيا غير الظلام . . . !

قلت : وما بالك لا تحسبه درساً من دروس الحرب الباقية ؟ وما بالك لا تحمد لنا أن ذكرنا المعرى حتى أوشكنا أن نرضيه وأن نقتدي به في طعامه ؟

وكانت نوبة الاعتبار والاتعاظ مالكة زمام الصديق في تلك الليلة ، فأخذ في تفصيل هذا الدرس الجديد ، وطفق يقول ويكرر : ولم لا ؟ ولم لا ؟ إننا تعودنا ونعم العادة ما تعودنا . . . فلنمض في ذلك طائعين ننسى غداً أننا مضينا فيه أيام الحرب ونحن كارهون

وراح يقول : أو ليس هذا ضرباً من الصيام المحمود ؟ أليس فيه ما في الصيام من شعور بالمساواة بين الأغنياء والفقراء ؟ أليس فيه ما في الصيام من ضبط للنفس وكبح للشهوات ؟ أليس فيه قصد ومنفعة ؟ أليس فيه صحة وحمية ؟ أليس فيه تآزر بين البيت والأمة فلا يأكل البيت إلا بمقدار ما تسمح الأمة ؟

قلت : بلى ، فيه هذا وفوق هذا

فظن أنني أمزح وأنني سأهزأ به فتأهب قائلاً : وما فوق هذا ؟

قلت : على ربعك ! لست أمزح ولا أنوى أن أستهزئ بنوبة عظاتك في هذه النوبة ... إن الأيام التي خلت من اللحوم لفيها ما ذكرت وزيادة : فيها الحمية والقصد وضبط النفس والمساواة بين الغنى والفقير ، وفيها أنها ستبصرنا بمنافع السمك وطالما عجبت لإهمال المصريين إياه

فمصر يحف بها بحران عظيمان ، وفيها بحيرات كبار ، ويتخللها النيل وليس هو أغنى هذه الموارد بالسمك النافع ، ولكنه مورد لا نستفيد منه كل ما يستفاد

وقد كانوا في مصر القديمة يستفيدون منه ويأكلون سمكه أيام الفيضان ، ويملحونه ليحفظوه إلى الفيضان المقبل ، لأنهم كانوا يجهلون من أساليب الصيد في البحار وتوليد الأسماك فيها ما نعلمه الآن

أما نحن فعندنا الزوارق البخارية والوسائل المصرية والمعرفة بعلوم الأحياء . فلماذا لا نستكثر من أكل السمك وهو غذاء صالح للأجسام والعقول ؟

فصاح مستفهماً : والعقول ؟

قلت نعم ... وإن أناساً جادين في القول والبحث ليزعمون أن الفلسفة اليونانية مدينة للسمك بالشيء الكثير ، وإن حكماء الإغريق نبغوا على الشواطئ وبين أبناء الجزر ، لأنهم كانوا يستكثرون من أكل السمك وفيه « الفسفور » كما تعلم ، وفي الفسفور غذاء للمخ والأعصاب ، وغذاء للعقل والإدراك من هذا الطريق .

ومن فكاهات العصر الحديث ما يؤيد أولئك الباحثين الجادين فيما زعموه ... أو لم تسمع بحوار الإنجليزي والاسكتلندي على السمك ومناصب الدولة ؟

قال : لا

قلت : فاعلم أن انجليزياً سأل رجلاً من أذكياء اسكتلندة متعجباً : ما بالكم يا هؤلاء وليست في بلادكم العاصمة ولا مراكز الدولة ، تشغلون أكبر مناصبها ، وتستأثرون فيها أحياناً بالوزارة والقيادة والقضاء ؟

فارتد إليه الاسكتلندي مجيباً : أولا تدرى ؟ إنه الدماغ ، وإنه السمك . . . !

قال الإنجليزي : وما العلاقة بين الدماغ والسمك وأبناء اسكتلندة ؟

فقال الإسكتلندي : إن السمك فيه الفسفور وإن المخ لا يعمل بغيره ، وإنه كثير في سمك بلادنا ... !

قال الإنجليزي : أئذا أكلت من سمك بلادكم رشحت نفسي بعد حين لمنصب من تلك المناصب الرفيعة ؟

قال : بلا جدال

ونقده الإنجليزي جنيهاً وأرسل إليه الأسكتلندي سمكة وعاد بعد أيام يسأله : كيف أنت واقترابك من المناصب الرفيعة !

فهز الإنجليزي كتفيه وأجابه : كما أنا !

قال : إذن كرر التجربة

وكرر التجربة ، وأعطاه الجنيه ، وأكل السمكة ، وعاد إليه بالسؤال مرتين وعاد إليه بالجواب بعينه ، فلما قال له : كرر التجربة إذا بالإنجليزي يقاطعه هذه المرة صائحاً :

— أولا يباع بالجنيه عندكم أكثر من سمكة واحدة ؟ !

فابتسم الإسكتلندي وربت على كتفيه وهو يقول : هذا مفعول السمك قد آذن أن يظهر يا صاح !

* * *

ومن أين لنا أننا إذا طالت التجربة في مصر ، قلنا لمن فهموا بعد أن كانوا لا يفهمون : هذا مفعول السمك يا هؤلاء ، وهذه بركة الأيام التي لا تحمدونها الآن !

* * *

دروس من الحرب ، وكم للحرب من دروس ... فهل نذكرها ؟ وهل ننساها فيضيرنا نسيانها !

ويح بني الإنسان ! لو أن درساً من دروس جيل ينفع الجيل الذي بعده لما تلاحقت المصائب عليهم جيلا بعد جيل

وويحهم مرتين ! لو أن الأجيال السابقة تجرب للأجيال التي بعدها وتعيش لها لبطل عيش اللاحقين وأصبح كالنسخة المكررة من عيش السابقين

فليجربوا أو لا يجربوا ، ولينسوا أو لا ينسوا ، فما هم بناجين ، وما هم عن تكرار التجربة بمستغنين ، ولو كلفتهم السمكة أكثر من جنيه ، وأبطأ مفعولها بعد قضاء الثمن مرات

عباس محمود العقاد

نظرة عاجلة

فى ديوان الشـــبيبى

للدكتور عبد الوهاب عزام

حسبت، وديوان الشبيبى فى المطبعة، أنى سأسبق الكتّاب إلى الكتابة عنه حين ينجز طبعه؛ ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. فقد لبثت حقبة أتربص فرصة بين الأشغال المتتابعة، وأرتقب فترة فى الأعمال المسرعة، وكلما صرفتنى الشواغل عن مقصدى أنشدت قول الأنورى الشاعر الفارسى:

أكر محوّل أحوالِ جهانيان نه قضاست
چرا مجارى أحوال برخلاف رضاست

ويمكن أن يؤدى معناه فى العربية بهذ البيت:

لماذا يخيب رجاء البشر إذا لم يكن أمرهم للقدر

وكانت عطلة عيد الأضحى، ودعيت إلى الشاركة فى المؤتمر الطبى العربى الذى اجتمع فى مدينة أسوان فقلت هى فرصة: أصحب ديوان الشبيبى فى القطار كما صحبت ديوان البحترى فى سفرى من حلب إلى استانبول قبل أربع سنين. ورحم الله أبا الطيب الذى قال: وخير جليس فى الزمان كتاب

عبرت ديوان الشبيبى عبرة وعزمت على أن أبادر بالكتابة عنه حينما أعود إلى القاهرة. ثم سارت الأيام سيرتها، وجرت الأمور مجراها، فإذا شهر ونصف يمضيان من الزمن الطيّار الذى قال فيه المعرى:

وأصغر كون تحته كل عالَم ولاتدرك الأكوانَ جردٌ صلادم

وقال عبد الحق حامد شاعر الترك الأكبر:

كچمز، صانيرم، بوردزكارى سر عتليدر أو لقدر كذارى

(وترجمته:

ويسرع هذا الزمانُ المرورَ إلى أن أرى أنه لا يمرّ)

ثم تسنت لى جلسة خالية مختلسة من بين المشاغل التى تعبّدنا وتستبدّ بعقولنا وقلوبنا فاستطعت أن أخط كلمات قليلة عن ديوان الشبيبى، وما هى إلا نظرة عاجلة غير شاملة حاولت جهدى حين الكتابة، أن أتجاهل السيد رضا الشبيبى، وأقدّر أننى لا أعرفه وأنّى لا أكنّ له فى نفسى ودًّا وإعجاباً ليتيسر لى أن أزن الكلام بقيمته لا بمكانة قائله. ولكن كان كل بيت تقع العين عليه يذكر بأن بيت الشبيبى تتمثل فيه الأديب الوقور جالساً جلسته، متحدثاً حديثه؛ فلم أستطع أن أخادع نفسى عن الشبيبى ساعة واحدة أصف فيها الديوان. قلت لنفسى كيف الحكم وقد قال النقاد ينبغى ألا يكون لمعرفة الإنسان وميله أثر فى حكمه؟ قالت: قد حكمت ولم تشعر. قلت كيف؟ قالت: ألست تقول إن كلام الشبيبى يذكر به، ويصدق الحديث عنه؟ وخير الكلام ما شف عن صاحبه ومثله لقارئه

— ١ —

يفيض قلب الشبيبى بحب قومه العرب، وينطق شعره بالغضب لهم والتوجع لما أصابهم والفخر بماضيهم والثقة بمستقبلهم. وحسبك بقصيدته القافية التى يتناشدها أهل الشام:

ببغداد أشتاق العراق وإننى إلى الكرخ من بغداد جمُّ التشوق
فما أنا فى أرض الشام بمشئم ولا أنا فى أرض العراق بمعرق
هما وطنٌ فرد وقد فرقوهما «رمى الله بالتشتيت شمل المفرّق»

وشد ما يعجبنى ويطربنى قوله فيها:

وما الأرض لولا أربُع عربية سوى عطنٍ بالعبقرية ضيّق

وقد ذكرنى قوله فى حلوان العراق:

فيا ليتها كانت رباً عربيـة مكرّمة منهن رَضوى وثهلان

بقصيدة أبى الطيب فى شعب بوان حينما افتقد وجه العربى ويده ولسانه ثم قال:

ولو كانت دمشق ثنى عنانى لبيقُ الثرد صينىّ الجفان

وكذلك يذكر بأبى الطيب قولُه:

وافت عجائبُ أجيال وأعجبها إذا تأملت، جيلٌ عُربه عجم

واقرأ قصيدته: «دمشق وبغداد»، وقف على هذا البيت الذى فاضت فيه أنهر العرب الأربعة:

بَرَدَى وأودية الفرات ودجلة والنيلَ غصّ بمائك الوُرّاد

ويتبين الإباء العربىّ حتى فى غزله:

تعفّف بعد العجز قوم فما حكوا خلائق أقوام متى قدروا عفّوا

وأشقى الهوى ما كان غاية أهله ... وعُقباهم منه الخلاعة واللهوا

ومن خير ما يقرأ في هذا قصيدته الحب الطاهر .

— ٢ —

وأما العراق فقد وهبه الشاعر عقله وقلبه . ما يذكره إلا يجب قلبه ويفيض دمعه ، أو تثور نفسه ، حزناً لما يرى وطموحاً إلى ما يبقى له من العزة والسؤدد والسعادة :

أى دمع يفيض من أى مقله ... لوقوف بين الفرات ودجله

ما إخال الخرير والمـاء إلا ... صوت حزن وعَبرة مستهِلّه

يا خليليّ إن تشاءا اسعدانى ... فى شجونى فالخل يسعد خلّه

عللانى بذكر نهضة قومى ... قبـل ألّا أرى لقلبى تعلّه

أين ذاك العراق ؟ أين بنوه ؟ ... ليتهم أبصروا العراق وأهله

وقوله :

نظرت بنى الدنيا فأبصرت أنها ... على الشر لا تنفك تجرى النحائت

هم أضمروا حب المظالم فاستوت ... دخائلهم والظاهر المتفـاوت

سـواهم يرعى بعضها دم بعضها ... شتاتاً وهل تحمى السروح الشتائت ؟

— ٣ —

وللأستاذ الشبيبى نظرات فى الحيـاة تعرب عن ضيقه بها وانقباضه وارتيابه فى الناس ، وتذكّر أحياناً بأبى العلاء المعرى :

من الناس خافى أيها النفس واحذرى

ولا تأمنى إن المخافة فى الأمن

وكأنك تقرأ للمعرى حين تقرأ القطعة التى سماها « من لزوم ما لا يلزم » :

حياتى هـذه ليـل ... إذا متّ غـداً يُجلى

وما آسى على شىء ... من الدنيا وإن جلاّ

— ٤ —

وللأستاذ شعر فلسفى يسمو إلى النظر العالى فى الكون والإبانة عن جلاله وجماله . إقرأ قصيدته على ضفاف دجلة :

يد لدجلة عندى لست أجحدها ... إلا إذا جحدت سلسالها الهيمُ

حلفت ليلة تعريسى بشاطئها ... ألاّ يميل برأسى عنك تهويم

إذ كل زمزمة فى الكون هينمة ... بل كل ما فيه تغريد وترنيم

لى فى الرياض إذا أمعنت فلسفة ... وحكمة ملء مرآها تعاليم ..الخ

وبعد فقارئ ديوان الشبيبى يمرّ بصور صادقة ، صور إنسانية عالية وأخرى قومية رائعة . ويرى من آمال الحياة وآلامها ، وسعادتها وشقائها ، وجمالها وقبحها ، ما يحسن الشاعر الإبانة عنـه ، ويصدق التصوير فيـه ، حتى تحسب خياله حسّاً ومجازه حقيقة

والخلاصة أن شعره يصدق قوله فى الشعر :

إذا أنت كابرت الحقيقة عبّرت ... فصاحة قُسّ عن فهاهة باقل

إذا قلتُ إن الشعر بحر غبنته ... متى يستقيم البحر من غير ساحل؟

قرائحنا منــــه بحور خضارم

ومنها — إذا جرّبتَ — رشحُ الجداول

وأجمع أقوال الرجال أشدها ... معان كبار فى حروف قلائل

ولله ما أبصره بالشعر الحرّ العالى حين يقول :

ما من بصير بحق الشعر يحفظه

كن شاعر الوقت أو كن شاعر الزمن

زن قبل لفظك معنى البيت تنشئه

فربَّ بيتٍ بمعنى غير متزن

ولعل لنا نظرة أخرى شاملة مفصلة فى الديوان إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

بين آدم وحواء

حديث الســـــدرة

للدكتور زكي مبارك

كانت حوّاء تعبتْ من عقل آدم ، وكان آدم تعب من جهل حواء ، وكان جوّ الخلاف ينذر بأن صاعقةً ستنقضّ على رأسيهما بعد حين ... ولذلك الخلاف المزعج تفاصيل في كلام شيث بن عرِبانوس ، فما تلك التفاصيل ؟

كانت الأوامر والنواهي ثقُلت على آدم وحوّاء (لحكمة يعلمها الله) وكان آدم مع ذلك يدّرع بالصبر الجميل ، فيراعي الحدود بقدر ما يستطيع . أما حوّاء فكانت تتمرد من حين إلى حين ، وإن كان شيث يؤكد أن تمردها لم يكن في جوهره إلا فنّاً من فنون الدلال .

ويظهر من كلام شيث أن حوّاء لم تكن تدرك أن النعيم قد يزول بالعصيان ، فما دار في خَلَدها أن في الوجود مكاناً غير الفردوس يُنفَى إليه العصاة والمتمردون ، ولا جاز في وهمها أن يُنقَل الإنسان من دار إلى دار بسبب الثورة على الأدب والذوق . وكيف تدرك حواء هذا المعنى وقد وُلدتْ في جنة دانية القطوف ، ولم تسمع بأخبار الأرض إلا بعد أن قضى الله في أمرها بما أراد ؟

ويظهر أيضاً من كلام شيث أن آدم كان يخاف الله أشد الخوف ، وكان يدرك بفطرته أن النعيم قد يزول بالعصيان ، وأنْ لا بدّ من تأديب حوّاء إن تمادت في الضلال .

كان آدم يفهم جيداً أن الله لا يتأذى بجهل الناس ، وإنما يوقع العقاب بالجاهلين لخروجهم على نظام الوجود ، وهو نظام يتأثر باليسير التافه من الانحراف ، لأنه غاية في الدقة والترتيب ، ولا يحتمل الثبات على الاعوجاج .

وكان آدم يُقسم لئن رأى حواء ليذيقنّها العذاب على ما اعتزمت من قُرب شجرة التين[1] ؛ ولكنه كان يتخاذل حين تُقبل عليه بجسمها الفينان ، وثغرها الرشوف ، فقد كانت ثناياها أحب إليه من حَبّ الرمان ، وكان قدها الرشيق نهاية ما يتصور من روعة الخطرات .

كان آدم يشعر بأن عزيمته تتحلل إلى أوهام حين يرى جسم حواء ، وكان يعجب من أن يكون في الأوامر والنواهي ما يضع حدوداً لسيطرة تلك الظبية العصماء .

والظاهر أن الجسد الجميل يزيغ البصائر والعقول ، وينقل الرجل من حال إلى أحوال ، ويضيف الحليم إلى طوائف السفهاء ، ولا عاصم للرجل من فتنة الجمال إلا إن حمته وقاية الله .

وكان قدّ حواء من القدود السمهرية ، وكانت لها مشية تزلزل القلب والوجدان ، وكان لها في الضوء لون وفي الظل لون ، وكانت ظلال الأهداب توهم أن على خديها زغباً يشبه زغب الخوخ ، وكان غضبها أحلى من الرضا وقطيعتها أطيب من الوصال ، وكان تثنّيها وهي تتخطّر فوق شط الكوثر غريبة الغرائب في السحر والفتون

وكان آدم أضعف من أن يقاوم حواء ، فقد كان في فورة الشباب ، والشباب جهل ، وكان أعجز من أن يرجع على نفسه بالتأديب والتهذيب وهو يعاقر الجمال لأول عهده بالوجود ، وأخطر الحب هو الحب الأول ، ولكل آدم في الدنيا حواء

كان آدم يُقسم ويقسم ثم يقسم لئن رأى حواء ليُقطِّعنّها إلى قطع صغيرة حقيرة ثم يقدمها إلى ما في أرباض الجنة من ثعالب وذئاب ، جزاءً بما تقترف من التفكير في قرب شجرة التين ، ولكنه كان يُصعَق حين تُشرف عليه بقدها المرهف وطرفها النشوان

كان يبدأ بالزجر ، ثم ينتقل إلى العتاب ، ثم ينتهي بالاستسلام ، وذلك مصير الغرماء لأمثال حواء

دعاها مرة إلى أحد الأدغال ليقتلها في خفية ويستريح ، فحماها منه جسمها المجدول بأسلاك الكهرباء ، فارتدّ وهو هائم حيران ، وعرف أن الهوى فرضٌ على من وهبه الله نعمة الشعور بعبقرية الجمال

كان آدم رجلاً وكانت حواء امرأة ، وإذا تلاقى الرجل والمرأة فلا مجال لغير الغيّ والضلال ، وقد غوَى آدم بطاعة حواء فقضى الله في أمره بما سجل التاريخ

(١) اختلفت الأقوال في «الشجرة» فقال قوم : هي الكرمة ، وقال قوم : هي شجرة التين ، وشيث لا يذكر غير الشجرة الثانية .

جسد حواء صنع به ما صنع . جسد حواء غفر جهل حواء . جسد حواء فعل بآدم الأفاعيل ، فزيّن له الخضوع لهواها الأثيم

كان آدم يضطرب ويرتعد ، حين تختال أمامه حواء بقدها المؤلف من الأحلام والأهواء ، وكان لا يعرف أين يضع قدميه وهي تساوره بعينين غافلتين عما تصنعان بقلبه المأخوذ ، وعقله الموقوذ ، وهل يبقى لمن يصارع الجمال قلبٌ أو عقل ؟

جسد حواء صنع بآدم ما صنع ، ولكنه تماسكَ في إحدى اللحظات وقد جالسها تحت السِّدرة فدار بينه وبينها ما سجل شيث من هذه الأحاديث :

— أين كنت يا حواء ؟

— وما أنت وهذا السؤال ؟

— من حق أن أسأل

— وليس من واجبي أن أجيب !

— إذن نفترق ؟

— وإلى أين تذهب ، والجنة أسوار أمنع من الجبال ؟

— السور الحصين هو أنت يا شقية ، فإذا نجوتُ منك فقد نجوت من جميع المهالك والحتوف

— أنت تنجو مني يا آدم ؟ أنت تنجو مني ؟

« ونظرتْ إليه بعينين نجلاوين تخشع واستكان وهمّ بأشياء »

— كل ما فيك جميل يا حواء ، إلا التفكير في قرب شجرة التين ...

— والموت أهون من الصدوف عن شجرة التين

— هي محرّمة بأمر الله

— وكيف وقد رأيت ظبية تعطو إلى أوراقها منذ لحظات بلا تهيب ولا تخوّف ولا احتراس ؟

— الظبية حيوان

— ونحن من الحيوان

— ولكن التكاليف تجعلنا أعظم من الحيوان

— وما قيمة التكاليف ؟

— التكاليف لا توجّه إلا إلى الحيوانات الراقية

— وأنت حيوانٌ راقٍ يا آدم ؟

— لأني في صحبة حواء !

« وهنا وقع اشتباك بين خلقتين فطريتين لم يؤهلهما التهذيب لمراعاة الأدب في النضال والصيال »

— كان الظن أن تعرف ما نعاني من الظلم في الفردوس

— وماذا نعاني يا حواء ؟

— نعاني الخضوع للأوامر والنواهي ، وتلك أول مرة أفهم فيها المراد من وصف الله بأنه صاحب العزة والجبروت

— وهل يظلمنا الله يا حواء ؟

— انعدام المساواة من صور الإجحاف

— أتريدين أن نكون أشباهاً لما في الجنة من طير وحيوان ؟

— وما المانع من ذلك ؟

— المانع أننا ارتقينا ؛ وللرقيّ تكاليف

— وما حظّنا من الرقيّ المقيَّد بواجبات وفروض ؟

— هو حظٌّ عظيم ، يا حواء

— وكيف ؟

— لأنه يجعل لنا إرادة ذاتية

— ومعنى ذلك أنه يبيح أن أصارعك فأصرعك ؟

« وتصارع آدم وحواء فانصرعتْ حواء »

— لا تزعجي من الهزيمة ، أيتها الشقية !

— أحب أن أعرف ماذا تأكل حتى صرت أقوى مني

— طعامنا واحد ، ولكن الروح مختلف

— يظهر أنك تأكل من شجرة التين(١)

— قوتي الحقيقية ترجع إلى الانتهاء عن أكل شجرة التين ، وطاعة الله هي أعظم سلاح يتسلح به الرجال

— والنساء ؟

— الطاعة قوة ينتفع بها جميع الخلائق ، حتى الشجر والنبات

— نحن إذاً خُلقنا للمتاعب ، فالطاعة لا تتم إلا بجهاد عنيف

— الجهاد الصادق رزقٌ نفيس ، يا حواء ، ولا يكون إلا بتوفيق ، فهو يستحق الشكران

— أتريد أن أجاهد نفسي فأبتعد عن شجرة التين ؟

— ليتك تفعلين !

— إسمع يا آدم ، فعندي فتوى تنفعك

(١) في هامش الكتاب عبارة تفيد أن حواء كانت تتوهم أن آدم يأكل خفية من شجرة التين وأن ذلك سبب قوته العاتية .

— أنت تُفتين يا حواء ؟ !

— دع اللجاجة ثم اسمع ... حدثتني الحية أن النهى عن شجرة التين نهيُ تنزيه لا نهيُ تحريم

— وإذن ؟

— وإذن يجوز قرب الشجرة بلا تعرض لغضب الله ، وإن تعرضنا للعتاب[1]

— إسمعي يا حواء واعقلي ... أنا لا أعرف الفرق بين نهي التنزيه ونهي التحريم . إنما أعرف أن الله نهى عن الشجرة ، وأعرف أن الطاعة واجبة ، وأنا أخشى عواقب العصيان

— قلت لك إن الحية حدثتني ...

— أنت فى نعيم يحتاج إلى حراسة ، فاحترسي من الدسائس يا شقية !

— كل شيء جائز ، إلا أن تكون فى الجنة دسائس، فهذب كلامك يا آدم !

— الدسيسة لا تُلاحِقُ غير السعداء بالعيش الطيب والمواهب السامية . وستعرفين يا حواء صدق ما أقول إن استمعت كلام تلك الرقطاء

— قلت لك إن قرب الشجرة لن يعرّضنا لغضب الله

— ولا يعرضنا للعتاب ؟

— عواقب العتاب هينة ، وهو فى الأغلب يتوج بالإعتاب

— المهم فى نظرى أن نقف حيث وقفتنا الإرادة الربانية ، بلا تخريج ولا تأويل ، فكل خروج على الطاعة يترك فى القلب حفرة ، والحفرة قد تتحول إلى هاوية ، وإذا تذوق المرء أو المرأة طعم الجموح فعلى الأخلاق العفاء

— أنا لا أفهم معني النهى عن شجرة التين ، ولها ثمر معسول

— من حق الله أن ينهى عن الطيبات

— لأى غرض ؟

— ليختبر قدرتنا على ضبط النفس ، فلا قيمة لترك الأشياء الكريهة ، وإنما القيمة فى تركِ الأشياء الشهية حين يوجّه إليها النهى ، ولو عن طريق التنزيه ، كما أفتت الحية الباغية

— لا تذكر الحية بسوء فهى صديقتى

— آفة الآفات أن تكون للمرأة صديقات !

— هل يغيظك أن يكون لى فى الجنة رفيقة أسكن إليها من وقت إلى وقت ؟ أنت إذن لا تحبني

— أحبك حباً لا يطاق ، ولهذا الحب عواقب ستعلمين أنباءها بعد حين !

— قبلني إن كنت تحبني

— ستقبّلك الحية فهى أقرب إليك مني !

« وفى تلك اللحظة سُمع فحيح هو دعوة الحية فجرت إليها حواء ، وتركت آدم لمصارعة ما فى صدره من آراء وأهواء »

فماذا قال آدم لضميره وهو يحاوره تحت السدرة بعد انصراف حواء ؟

من كلام شيث نفهم أن آدم زُلزل بعد ذلك الحوار ، فقد تأهبت نفسه لمناقشة الأوامر والنواهى ، وصح عنده أن لكل مسألة وجهين ، وأن من حقه كمخلوق مفكر أن يدرس مايعرض لذهنه من حقائق وأباطيل

بدا له أولاً أن الطاعة أفضل ، وأن الهيام بالتخريج والتأويل قد يكون من نزغات الشياطين ؛ ثم رجع فرجح أن النهى قد يكون ضرباً من الإغراء ، فليس بمعقول أن تكون ثمرة التين من الخبائث وهى فيما يظهر طيبة المذاق

والتفت مرة ثالثة فرأى من الحمق أن يخالف الرجل عن أمر الله من أجل امرأة

ثم عاد فرأى أن تلك المرأة هى رفيقه الأول والأخير فى الفردوس ، فما ارتاحت نفسه لرؤية الأشجار والأزهار إلا وهو مأهول الروح بهوى حواء

هى امرأة لا تخلو من هَوج وطيش وسخف ، ولكنها من ذوات المعانى ، فقد كانت تعرف كيف تصيره جذوة من الصبوة حين تشاء ، وكان آدم لا يتمتع بإشراق الفكر إلا فى لحظات الصبوات

(١) لم نر هذا الكلام فى غير كتاب شيث

ومن عجيب أمره أنه كان يتمثلها حين تغيب ، فقد كانت ذاكرته تعي الأصوات والألوان والحركات إلى الحد الذي يسمح بأن يعانق حواء وبينه وبينها فراسخ وأميال

ولكن . . . ولكن الله نهاه عن الشجرة ، فماذا يصنع ؟ توجه إلى الله بهذا الدعاء :

« يا خالق الكوثر ، ويا فاطر الأعناب والنخيل ، بك أستجير من ظُلم الجمال !

يا مبدع العيون الكحيلة ، والخدود الأسيلة ، بك أستغيث من سحر الفُتُون !

أنت سوّيتني بيديك من جسد وروح ، وأنا بالروح أطيعك وبالجسد أعصيك ، فهل ترى عدالتك أن الحسنات يُذهبن السيئات ؟

إن كنت ترى أن شجرة التين شجرة مسمومة فاصرف عنها حواء ، فلم تعد لي طاقة على مقاومة حواء ؛ ولطف صنعتك هو الذي جذبني إلى تلك الهوجاء

وإن كنت ترى أن الهاوية تترقب من يعصيك فجرّد حواء من سحرها الفتان لأملك من أمري ما لا أملك ، ولأستطيع الصبر عن ثغرها الرشوف ، فأنت يا مولاى تعلم أني بها من الهائمين

أنا عبدُك وحواء أَمَتُك ، فاقض في أمرنا بما تشاء ، يا أحكم الحاكمين »

وانتظر آدم أن يغيّر الله ما بنفسه بعد هذا الدعاء الصادق ، ولكن الأقدار سكتت عنه فظل مخلوقاً من جسد وروح ، أو من طين وماء

وفي لحظة من لحظات الضجر عزم على المعصية ليعرف مكانه من الوجود

في تلك اللحظة ظهرت حواء ، فهتف :

— إلى شجرة التين ، يا حواء !

— هل غيّرت رأيك ، يا آدم ؟

— بعض الشيء !

— أنت إذن تحبني ؟

— ومن أجل هذا الحب أتعرّض لمكاره وخطوب ، فقلبي يحدثني بأننا مقبلون على بلاء !

— لا تحزن فأنا معك

— من موجبات الحزن أنك معي ، يا حمقاء !

فكيف انتهت بهما الأمور تحت شجرة التين ؟

(للحديث شجون) زكي مبارك

العادات والاصـــلاح

كيف نعود الى التشريع الاسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني

يشعر كل امرئ منا بأنه خاضع في نفسه ، وفي نظام بيته ، وفي دائرة عمله ، وفي كل ناحية من نواحي حياته ونشاطه إلى عادات متنوعة تتحكم فيه ، وتفرض عليه سلطانها الجبار وإرادتها القاهرة ، وتطبعه بطابعها من حيث يريد أو لا يريد

يشعر كل منا بذلك في نفسه ، ويشعر به في الناس من حوله لا فرق فيه بين طبقة وطبقة ، ولا بين بيئة وبيئة ، ولا يختلف فيه غني عن فقير ، ولا كبير عن صغير ، ولا متعلم عن جاهل .

في الطعام والشراب عادات ، وفي اللباس والزي عادات ، وفي الجلوس إلى الناس والتحدث معهم عادات ، وفي البيت عادات ، وفي الطريق عادات ... وهكذا

وإننا لننتهز فرص الأيام والحوادث ، والأعياد والمواسم ، فنتخذ منها مناسبات لعادات شتى نحافظ عليها ولا نتسامح فيها ، وربما عددناها من شعائرنا ، وحسبناها من تقاليد ديننا !

* * *

هذه فطرة في الإنسان لا بد له منها بقطع النظر عن شريف العادات وذميمها . قضت بذلك حكمة العليم الخبير ، ليكون الاستقرار والهدوء ، ولتتركز شؤون الحياة ، ولينجو الناس من الاضطراب والمفاجآت وأخطار التقلب السريع والتطور العنيف

لذلك يجب أن يدخل في حساب كل مصلح ما للعادات من سلطان على النفوس ، ورسوخ في الأذهان ، واستقرار في المجتمع

ولكن بجانب هـذه الفطرة في الإنسان طبيعة أخرى هي طبيعة هذه الحياة نفسها . إن الحياة تأبى الركود ، ولا يصلح معها الجمود ، ولا بد لمن يريد العيش فيها أن يسايرها إلى حد ما ، وأن يتدرج معها في سبيل الرقي والكمال ؛ فإذا ظل الإنسان عبداً لعاداته ، رازحاً تحت سلطانها ، لا يفكر في التحول عن نظامها المفروض قيد شعرة ، بل ينقد غيره ويعنف عليه في النقد إذا رآه يفكر في هذا التحول أو يدعو إليه ، ويقف في سبيل دعوات الإصلاح والتجديد لاوياً عنقه ، مثيراً المشاكل ، فإنه يكون محتقراً لإنسانيته ملغياً لعقله جاهلاً بالحياة وما ينبغي للحياة !

وإذا أصرت طائفة من الناس على أن تصادر دعوات الإصلاح في دائرتها ، أو على أن تقف في طريق الحياة العاملة الناصبة المنتجة المجددة في غير دائرتها لمجرد المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة ، فقد عرضت نفسها لعوامل الانحلال والفناء

* * *

هي إذن معركة حامية الوطيس بين طبيعتين متقابلتين : طبيعة الخضوع للعـادات والتأثر بسلطانها ، وطبيعة الحياة التي تطلب إلى كل حي أن يسايرها ويتدرج معها ، ولا بد من تدخل العقل للفصل في هذه المعركة ووضع علاج يوجد به التوازن بين هاتين القوتين الضروريتين للانسان . لا بد أن نزن كل شيء بميزان العقل ، وأن نسترشد بنور هداه في كل طريق نسلكه ، وأن ننزل على حكمه راضين غير متبرمين

* * *

في كل أمة دعاة إلى الإصلاح يقفون منها موقف المرشد الناصح ، ويعكفون على مشاكلها ليضعوا لها الحلول ، وعلى أمراضها ليصفوا لها العلاج

وكثيراً ما يقع بين الناس وبين هؤلاء الدعاة المنادين بمبادئ الإصلاح خلاف ، وقد يؤدي هـذا الخلاف إلى إثارة المتاعب ووضع العقبات في طريقهم ، بل قد يؤدي إلى التشكك في نياتهم وأغراضهم وانصراف النفوس عن دعوتهم . ولست أرى في ذلك شذوذاً ، وإنمـا هو شيء طبيعي ، لأن المصلح الداعي إلى الخير يحاول أن يلفت الناس عما ألفوا . يحاول أن ينتزعهم من أحضان عادات حبيبة إلى نفوسهم ، عزيزة عليهم . يحاول أن يصادر الأهواء والنزعات وشهوات النفوس ، فلا عجب أن تكون دعوته ثقيلة على الأسماع ، كثيرة الخصوم والمستهزئين

وقديماً جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب بدين العقل والفطرة والسيادة والعزة والكرامة الإنسانية ، فقاوموه ووقفوا في سبيل دعوته استكباراً أن يتركوا ما ألفوا ، أو ينخلعوا مما ورثوا ، وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ! ولم يقفوا عند هذا الحد بل زعموا أنهم لا يدركون ما يقول ، وأن قلوبهم في أكنة مما يدعو إليه ، بل رموه بالكذب والافتراء وهم الذين لقبوه من قبل بالصادق الأمين ؛ ورموه بالجنون وهم يعلمون أنه أقوامهم عقلاً وأعظمهم رشادا

هكذا قابل الناس دعوة سيد المصلحين ، وبمثل هذه الدعاوى

والتهم واجهوه . والتاريخ يحدثنا عن كل مصلح بمثل ما حدثنا به عنه ، فكم شرد المصلحون وعذبوا ، وكم أوذوا واضطهدوا ، وكم قذفوا بالتهم ، ودبرت لهم المؤامرات ، وحيكت من حولهم الأكاذيب ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين

لا بد لدعاة الإصلاح إذن من الصبر وتحمل المشاق ، ولكن هذا وحده لا يكفى ، بل لا بد إلى جانبه من اللباقة وحسن التصرف وتقدير الظروف والأحوال حق قدرها ؛ وإنما يكون ذلك بالتدرج دون الطفرة . لقد تدرج القرآن بالمسلمين من قبل ، فكان ينزل أولاً فى بيان العقيدة والاستدلال عليها ؛ وكان ينزل بمكارم الأخلاق ؛ وكان ينزل فى الزراية على العادات الذميمة . ثم جعل — بعد أن استقرت الدعوة — ينزل بتشريع الأحكام شيئاً فشيئاً ، حتى إن قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، لم ينزل إلا فى العام الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لم يفاجئهم بالدين كاملاً قد استوفى جميع مبادئه وأحكامه ، ولو فاجأهم بذلك لفشلت دعوته ، وقل أنصاره وحماته !

لقد تناولت هذا المعنى فى مقال لى قبل اليوم ، وإنما أسوقه الآن ليتخذ منه المصلحون عبرة وليعرفوا ما فيه من موضع الأسوة الحسنة ، فيتدرجوا بالأمة كما تدرج القرآن

لقد بدأ هذا الدين غريباً ، وها هو ذا يعود غريباً كما بدأ : أصبحت تقاليدنا غير تقاليد الإسلام ، وأخلاقنا غير أخلاق الإسلام ، وأحكامنا غير أحكام الإسلام ، وقوانيننا غير قوانين الإسلام . أصبحنا نحرص على العادات التى ورثناها عن الآباء والأجداد أكثر من حرصنا على الدين . وإن أحدنا ليثور ويتألم إذا حاول محاول أن يصادره فى عادة من عاداته ، ولا يثور إذا اعتدى معتد على دينه ، زاعماً أن للدين رباً يحميه ، وما يريد بذلك إلا تبرير سكوته على العدوان وإيثاره للسلامة !

عند ما أبطلت عادة الاحتفال بالمحمل انقطعت العلاقة بيننا وبين حكومة الحجاز ، وظل حكامنا ووزراؤنا معنيين بهذا الشأن فى كل مفاوضة لإعادة هذه العلاقة ، حتى إذا نجح وزير من وزرائنا فى إعادة الاحتفال بالمحمل وإرسال الكسوة عددنا ذلك ظفراً يتبادل الناس التهنئات بالتوفيق إليه ، ولكننا مع هذه الغيرة الشديدة على تقليد من تقاليدنا نرضى بهذه التشريعات المجلوبة ، والأوضاع المقلوبة ، والنظم المستعارة ! نرضى بشرائع فرنسا وبلجيكا ونحن أمة القرآن !

يتساءل الناس : ماذا نصنع لكى نعود إلى أحضان الإسلام ونعمل لمبادئ الإسلام ؟ ماذا نصنع ليعود التشريع الإسلامى مصدراً للقانون العام فى مصر والشرق ؟ ماذا نصنع لنستظل بلواء القرآن ونهتدى بهدى القرآن ؟

والجواب فى ذلك عند الذين بيدهم الحول والطول ، ولهم الإشراف على مناصب التشريع والتنفيذ فى البلاد : إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً . يقولون : ماذا نصنع وقد أصبح للأمة نظام ثابت متركز ، وقانون قد ألفه الناس ، ووضع اقتصادى قد سرى إلى سائر معاملاتها ولن تستطيع التخلص منه ؟ ماذا نصنع وقد ألفنا فى الأحكام والقضاء والعقوبات نظاماً معيناً لا تسمح لنا المعاهدات والقيود الدولية بالخروج عنه ؟

يقولون هـذا ، ويردون به دعوة الدعاة إلى هذه الشريعة ، وهم يعلمون أن هذه الشريعة لا تجافى أصول المدنية الحديثة ، ولا تنفر من مجاراة النهوض والتقدم ، وأن مؤتمرات أوربا قد شهدت لها بذلك وسجلته فى قراراتها ، وأن ما لا يدرك بالطفرة يدرك بالتدرج وحسن التأتى

لا نقول لكم : اقلبوا التشريع فى البلاد رأساً على عقب ، ولا نقول لكم فضوا الشركات والمصارف التى تتعامل بغير ما يقضى به الدين فيما بين يوم وليلة ، ولا نقول لكم نفذوا ما جاءت به الشريعة الإسلامية فى أحكام القضاء والعقوبات دفعة واحدة ؛ وإنما نقول لكم تدرجوا بالأمة فى سبيل العودة إلى أحكام الإسلام كما تدرج القرآن بالمسلمين من قبل : خذوا فى كل قانون تضعونه منذ اليوم ، وفى كل تعديل تقررونه ، بمبادئ القرآن ، ولا بأس من أن تؤجلوا ما لا تقدرون عليه حتى تعدوا النفوس له ، وتقنعوا أنفسكم وتقنعوا الناس به . فإنكم إذا بدأتم السير فى هـذا الطريق تمهد أمامكم وتيسر لكم ، ولم تصادموا به تعهداً من تعهداتكم !

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ؟ »

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ٨٨٨٣ سنة ٩٤٠ ضد صلاح طعمة البقال بشارع البستان بتغريمه ١٠٠ قرش صاغ ونشر الحكم بمجلتى الاسلام والرسالة لبيعه ملحاً أزيد من التسعيرة .

يحيى النحـــوى

للدكتور جواد على

ومن هو يحيى النحوى ذلك العالم الذى يرد اسمه كثيراً فى كتب الفلسفة والطب والطبيعيات لدى العرب ؟ يرد كمؤلف وكمنتقد لـكتب اليونان السابقين ، وكطبيب ، ويرد كوسيط بين الحضارة اليونانية المسيحية وبين الحضارة العربية الإسلامية فيدخل اسمه بين مؤلفات كثير من علماء المسلمين ويستشهد بأقواله جماعة من أسلافنا العلماء

قالوا إنه كان يحيى الإسكندرانى الأسكلانى تلميذ ساوداى وأنه كان أسقفاً فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ، ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبي أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً . وقد فسر كتب أرسطوطاليس وكتب عن طب جالينوس الشهير[1]

وقد ذكر الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (المتوفى عام ٦٤٦ هـ) فى كتابه أخبار الحكماء نفس القصة التى ذكرها ابن النديم بعد أن أضاف إليها أن عمرو بن العاص لما سمع من ألفاظه الفلسفية وحججه النطقية التى لم يكن للعرب بها أنسة لازمه وكان لا يكاد يفارقه ، وأنه نظراً لهذه الدالة التى كانت ليحيي على عمرو طلب منه ذات يوم تسلم بعض ما فى خزائن الأسكندرية من كتب لينتفع بها . ولما كتب عمرو إلى الخليفة يستأذنه أمره الخليفة بإحراق ما فى الأسكندرية من كتب[2]

وذكر الوزير قصة أخرى سندها رواية أبى عبيد الله بن جبريل ابن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب فى كيفية نبوغ يحيي فى الفلسفة والمنطق دون سائر العلوم[3] ، وهى قصة وردت فى كتاب عيون

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦ طبعة مصر المطبعة الرحمانية

(٢) راجع أخبار الحكماء ص ٢٣٢ وهى رواية نقلت من مصدر عربى واحد إلى سائر الكتب ولم تثبت تاريخياً .

(٣) أخبار الحكماء ص ٢٣٤

الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة أيضاً[1] ؛ وسندها كتاب مناقب الأطباء لعبيد الله بن جبريل على ما يقوله صاحبنا ابن أبى أصيبعة هذا . ويضيف إليها رواية نقلها من تعاليق الشيخ أبى سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى فى أن يحيى كان فى أيام عمرو بن العاص وأنه شهد الفتح الإسلامى لمصر[2] .

وقد عرف اليونان والسريان هذه الشخصية ولكنهم عرفوها فى وقت آخر غير الوقت الذى حدده المسلمون وسموها اسماً يختلف قليلاً عن هذا الإسم : سموه يوحنا فيلوبونس Johannes Philoponus ومعناه يوحنا الحريص ؛ وسموه أيضاً يوحنا الغراماطيق Johannes Grammaticus أى يوحنا النحوى (يحيى[3]) وقالوا عنه : إنه كان أحد تلامذة أمونياس بن هرمياس . وكان يعلم فى الاسكندرية نحو السنة ٤٨٠ الميلادية وأنه كان من رجال القرن السادس[4] . وقال عنه ميخائيل إنه ظهر سنة ٥٥٠ ميلادية وأنه اتبع بدعة المثلثين Tritteisme[5] ، وأنه ألف كتباً يدافع عنها . فلما عرف به الإسكندريون حرموه كما حرمه رؤساء أديرة بلاد العرب نحو سنة ٥٧٣ الميلادية . فأنت ترى من ذلك أن الرجل عاش ومات فى عصر لم يكن العرب فيه قد فتحوا مصر بعد ؛ ولا يعقل أن يكون قد شهد هذا الفتح أيضاً ، فكيف السبيل ؟

حاول جرجيس أفندى فيلوثاوس عوض من أقباط مصر[6] وحاول الأب لويس شيخو اليسوعى[7] إيجاد حل معقول لهذه المشكلة التاريخية ، فقالا : المعقول أن يكون مقصود العرب من يحيى النحوى هو يوحنا النقوى أو النخوى أسقف مدينة نخو ،

(١) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤ طبعة سنة ١٨٨٢

(٢) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤

(٣) راجع كتاب المخطوطات العربية لـكتبة النصرانية تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى طبعة بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٢١٣ وكذلك مجلة المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٤) راجع المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٥) وقد ظهرت عقيدة التثليث فى أديان أخري مثل الديانة الهندوسية وتدعى فى السنسكريتية Trimurti ومعناها الثالوث أو التثليث ، وكذلك فى الديانة الرومانية القديمة . راجع Krüger. Das Dogma von der dreieinig keit. 1905. أيضاً ed. chabot. 2. 244

(٦) راجع المقتطف مجلد ٣٨ سنة ١٩١١ ص ٢٣٤ ، ٤٤٢

(٧) المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد ، وكتاب المخطوطات العربية ص ٢١٣

المعروفة عند اليونانيين باسم نيقيوس أو نيكيو Nikiou ، وعند اللاتين باسم Niciu أو Nikium [١] . وإن هذا الاشتباه الذى حصل لدى العرب إنما كان من قبيل التصحيف[٢] . وتكاد الظروف التى أحاطت بالأسقف يوحنا النحوى تنطبق مع الظروف والتفصيلات التى تنقلها الرواية العربيــة المذكورة عن يحيى النحوى ، فقد ذكر هذا الأسقف فى جملة من حوكم أمام سيمون أسقف الاسكندرية الذى ترأس محاكمة أصحاب البدع عام ٦٨٣ الميلادية[٣] وذكر أنه ألّف كتاباً فى التاريخ باللغة اليونانية ذكر فيه فتح العرب لمصر ، عرّبه أحد الأقباط ونقل هذا التعريب إلى الحبشية ، وتوجد النسخة الحبشية فى جملة مخطوطات المتحف البريطانى . وذكر عنه أيضاً أنه كان صديقاً موالياً لقورس بطريرك الاسكندرية وزعيم المنوثليين ، وهو الذى يدعوه العرب بالمقوقس ، وقد ناصرهم فى فتح الأسكندرية . فهذه الصداقة على ما يقوله الأب لويس شيخو قربته من العرب وجعلته من أصدقاء عمرو بن العاص[٤]

وهذا الحل لا يخلو من اعتراضات أيضاً . فالمعروف عن يحيى النحوى أنه كان من الأطباء وأنه كان من الفلاسفة أيضاً ، وكتبه تدل على رجل عالم بالطب والفلسفة معاً لا على رجل دينى بحسب كما هو شأن الأسقف يوحنا النحوى . والمعروف عنه أيضاً أنه كان أسقفاً من أساقفة الإسكندرية ، ولم يكن النحوى أسقفاً على الإسكندرية أبداً . على أن الإمام ظهير الدين أبا الحسن على ابن أبى القاسم زيد البيهق (المتوفى عام ٥٦٥ هجرية) يحدثنا فى كتابه (تتمة صوان الحكمة)[٥] عن رجل يعرف بيحيى النحوى الديلمى الاسكندرانى الملقب بالبطريق ، فيقول عنه إنه كان من قدماء الحكماء وأنه كان نصرانياً فيلسوفاً ، فأراد عامل على بن أبى طالب إزعاجه عن فارس وتخريب ديره فكتب يحى قصة إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد ابن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين . ويقول مؤلف الكتاب أنه رأى نسخة هذا الكتاب فى يدى الحكيم أبى الفتوح المستوفى النصرانى الطوسى وكان توقيع على بن أبى طالب عليه[١]

ويضيف البيهق على روايات من تقدمه من المؤلفين قوله إن خالد بن يزيد بن معاوية أخذ الطب عنه ، وإن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالى فى تهافت الفلاسفة هو تقرير كلام يحى النحوى[٢] ، وقد وافقه على هذا الرأى الشهرزورى الشهير أيضاً[٣] وقد قال إنه ألف كتباً وردّ بها وفيها على أفلاطون وأرسطو حين همّت النصارى بقتله ، ولا يتعرض بعد ذلك إلى حادثة التقائه بعمرو ولا إلى قصة الحريق المزعومة

ومشكلة المشكلات هى قول الرواة العرب أنه كان أسقفاً على الأسكندرية وأنه عاش فى زمان عمرو . وعلى كل فالرواية اليونانية السريانية تعارض هذه الرواية العربية ولا تعترف به كأسقف على الأسكندرية أبداً . والرواية العربية على ما يظهر مستقاة بعضها من بعض ؛ فقصة الحريق مأخوذة عن ابن العبرى[٤] وابن العبرى ينقل عن ابن القفطى ، وابن القفطى ينقل متن الرواية بدون ذكر حادثة الحريق من الفهرست لابن النديم[٥] ؛ ولم يذكر ابن العبرى نفسه فى كتبه السريانية : الكنسية منها والمدنية ، قصة الحريق مما يدل على أنه لم يجد ذلك فى كتب السريان[٦]

الحق أننا أمام مشكلة تاريخية فلسفية عويصة ، فالرجل مهم جداً فى بحث الفلسفة العربية والعقلية الإسلامية ، والموضوع معقد لا يعالج فى صفحات . ولا بد للباحث من تقليب المصادر اليونانية والسريانية والقبطية والعربية أيضاً للحكم بصورة قطعية على شخصية وعصر هذا الفيلسوف الذى هو حلقة وصل بين العقليتين : العقلية اليونانية المسيحية ، والعقلية العربية الإسلامية .

« بغداد » ميراد على

---

(١) وقد كتب عن هذه المدينة المستشرق كاتر مير راجع : Quattremère : mêmoirs sur L'egypte 1 و 423

(٢) راجع مجلة المشرق ص ٥٤ نفس العدد

(٣) راجع تاريخ ساويرس بن المقنع لبطارقة الأسكندرية المذكور فى تاريخ يوحنا السمنودى ed. Sybold. 1. 129 — 130

(٤) المشرق نفس السنة ص ٥٦ ، ولم يكن المؤلف قد انتفع بعد من المصادر التى طبعت بعد مثل كتاب البيهق وغيره

(٥) طبعة لاهور سنة ١٣٥١ هـ ص ٢٣

---

(١) تتمة صوان الحكمة ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ٢٤

(٣) راجع كتابه نزهة الأرواح وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية على ما يقوله محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٨٢ — ١٨٣

(٤) راجع كتابه مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥

(٥) المشرق ص ٥١

(٦) راجع كتبه السريانية التى طبعها J. B. Abbeloos وكذلك T. J. Lamy وبيجان اللعازارى والمشرق ص ٥١

تطور العلوم الاجتماعية

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

يتبين من تاريخ علم الاجتماع أنه لا يزال فى دور التكوين . ولعل سبب ذلك يرجع إلى ما يشوبه من نظريات فلسفية أفسدت عليه استقامة عوده ، وإلى عدم استقرار فروعه وتحديد غايتها واستخلاص طرقها

فنرى تاريخ الأديان مثلاً تتنازعه تيارات كثيرة ؛ وعلى حسب اختلاف اتجاه تلك التيارات وقوتها تختلف طريقة البحث ونتيجته . وكثير من مؤرخى الأديان الكبرى كاليهودية والنصرانية والإسلام يرون أن للأديان منشأ واحداً لأنها جميعاً تعترف بوجود قوة خالقة واحدة لهذا الكون يشعر بوجودها الإنسان حين النظر فى أمر تكوينه والبحث عن آثار تلك القوة الممثلة فى وجدانه . أخذ هؤلاء العلماء يردون ويفسرون جميع الظواهر الكونية والاجتماعية والنفسية إلى أصل واحد يحيط بها ويعبر عنها بأسلوب لا يأتيه الباطل ولا يتطرق إليه الشك ، هذا الأصل هو الكتب المقدسة وآثار الأنبياء . من أجل ذلك توفرت جهود المؤرخين على جمع وترتيب شتات هذه الكتب وتلك الآثار ، وانكبوا على دراستها ليستخرجوا منها أسباب الحوادث والوقائع التاريخية مفسرين كل هذا حسب ما لديهم من اعتقادات راسخة وإيمان ثابت فى صحة روايات ووقائع تلك الكتب والأحاديث[1]

وهناك فريق آخر — وهم الفلاسفة[2] ومن إليهم — يرى أن نشأة الأديان ترجع فى أصلها إلى عوامل نفسية لما فطر عليه الإنسان من حب ولما تكون فيه من غرائز ، وإن هذين العاملين يتنازعان القوى الروحية للانسان ، وعلى قدر تغلب أحد هذين العاملين على الآخر تتعين طبيعة الدين وقوته . فالدين عند الأمم المحدودة المدنية مثلاً هو دين غريزى ، لأن أصله غريزة الخوف والتنازع على البقاء . وقد نعته « برجسن » بأنه دين خامد[1] لخلوه من عناصر التطور والتجدد . وأما الأديان الكبيرة كاليهودية والنصرانية والإسلام والبرهمية فإنها تصدر عن عاطفة الحب التى يتميز بها الصوفى فى تلك الأديان . ومن أجل ذلك اعتبر موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أنبياء لتميزهم بحبهم الخالص للعالم كله ، وتفانيهم فى العمل من أجل سعادته ، وقدرتهم على الإشراق والتقمص فى قوة الكون ذاتها ، ليمثلوها فى أجلى مظاهرها وأتم معانيها من خلق وتجديد ، وهذه هى الأديان (المتطورة) [2]

ولكن علماء الاجتماع لم يرضهم هذا الرأى أو ذاك ، لأن العوامل النفسية والاعتقاد بوجود قوة واحدة خالقة ومدبرة لهذا الكون لا يمكن اعتبارها أساساً ومصدراً للأديان ، فهناك أديان كبيرة كالبرهمية والبوذية — نشأت وانتشرت ولم تزل تعم جزءاً كبيراً من العالم ، على رغم أنها خالية من مثل هذا الاعتقاد . ونرى أيضاً أن هناك أدياناً متعددة عند الأمم المحدودة المدنية ـ كالقبائل الاسترالية والزنجية وغيرها ـ لها أوضاع وأسس تشبه فى كثير من ظواهرها الأديان الكبيرة ، لأنها قادرة على التميز بين الحلال والحرام وأمر القيام بعبادات منظمة ؛ وهذه الأديان أيضاً لم تقم ولم تتحدد بمثل ما تتقيد به النصرانية أو الإسلام من ضرورة الشعور بوجود هذه القوة الذاتية ؛ وكما أنها لا تشعر الفرد بأن هناك قوة روحية كامنة فى الإنسان وخارقة للعادة تدفع الزنجى أو الاسترالى إلى حب غير بنى جنسه كما يعمل الصوفى فى اليهودية أو النصرانية . فالزنجى أو الاسترالى يتقرب لأبناء جنسه ويفنى فيهم لأنه لا يرى سواهم حوله ، فقبيلته هى كل شىء

---

(١) من الصعب أن نحصى هنا عدد هؤلاء المؤرخين لكثرتهم ولكن نذكر أهمهم Ad. Lods; Israel, des Origines au Milieu du VIII siècle; col. de L'evolution de L'humanité. Paris.

Ch. Guignebert; Jesus; Col. de Levolution de L'humanité; Baris 1933

I. Goldziher; Mohammedanische Studien; Halle 1890

P. W. Schmidt; Origine et Evolution de la religion; Tra. Française, Grasset 1931.

أحمد أمين بك « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام »

(٢) مثل هنرى برجسن H. Bergson وجورج فريزر G. Frazer وتيلر Taylor وماكس ملر M. Muller وغيرهم

(١) للتعبير عن كلمة Statique الواردة فى كتابه Les Deux Sources de la Morale et de la Religion; Alcan, Paris 1932

(٢) للتعبير عن كلمة Dynamique الواردة فى كتاب برجسن السالف الذكر .

كذلك حين يقدس هذا الزنجى معبوده « أى توتمه » ويفنى فيه بحبه له ، يفعل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ، لأن معبوده هو رمز قبيلته ، وأن الفرد والقبيلة هما وحدة لا تتجزأ . وأما الصوفى فحبه الشامل للكون وتفانيه فى القوة الخالقة له ، لأنه مجبر على الإحساس — دون وعى لحالته — بهذا الشعور ، لأن الجماعة التى يعيش فيها تلهمه ضرورة حب غيره من عامة البشر ، بل وحب الكون عامة ، لأن هذه الجماعة هى خلاصة العناصر المادية والروحية للانسانية كلها ، ولأنها رمز قوة الكون ، لذلك كان هم الصوفى أن يسمى ليفنى فى هذه القوة ذاتها

من أجل ذلك يقرر علماء الاجتماع أنه إذا فرض واعتبرت الجماعة البشرية مصدر الأديان مهما اختلفت عصورها وتباينت بيئاتها فقد يكون فى ذلك حالة أدعى للطمأنينة وأدنى للصواب حين يعمل الإنسان لكشف حقيقة الأديان وتحليلها إلى عناصرها الأساسية ، وفى هذا الاتجاه سار إميل دركيم[١] Durkneim وتلامذته بفرنسا

وهذه وإن كانت محاولة جريئة قد تهيئ لنا مجالاً أوسع للبحث والتنقيب عن أصل كثير من الظواهر الدينية ومعتقداتنا وأساس إيماننا

* * *

ولم يكن حظ الجغرافيا البشرية أوفر من حظ علم تاريخ الأديان من حيث القدرة على استخلاص قوانينها العامة والاسترسال فى تحقيقها . فكثير من الجغرافيين[٢] يرون أن البيئة الاجتماعية ـ بما فيها من تنوع فى النشاط المادى والروحى ـ هى نتيجة حتمية للتأثيرات والعوامل الطبيعية للمنطقة التى تشغلها تلك البيئة الاجتماعية ؛ فإذا أينعت الأرض وعم خيرها وصلح جوها شبعت الجماعة وكثر نشاطها وعم فرحها وتنوعت ظواهرها الاجتماعية وتميزت عناصرها الجنسية

(١) أنظر كتاب : Les Formes Elementaires de la vie Religieuse; Alcan, Paris 1912

(٢) مثل فيدال دى لابلاش Vidal de Lablache ورتزل Ratzel وكثير غيرهما من الجغرافيين فى القرن التاسع عشر

وهناك فريق آخر من العلماء[١] يقولون إن غاية علم الجغرافيا البشرية هى دراسة العلاقة بين الإنسان وبين البيئة الجغرافية التى يسكنها وأثر كل منهما فى الآخر وتحديد ما يتركه هذا الأثر فى التكوين الاجتماعى . ويظهر أن هذا هو الرأى الأخير الذى استقر عليه عامة الجغرافيين والاجتماعيين

* * *

وأما علم الأنتولوجيا[٢] فإنه لم ينج أيضاً من تلك العقبات الوضعية عند نشأته ، فقد اعتبره « كترفاج » أحد فروع الزيولوجيا وجاء بعده « بروكا » Broca وتلامذته « أرنست هامى » E. Hamy « وفرنو » Verneau فتوسعوا فى فهم هذا العلم ووضعوا أسسه المختلفة ، فضموا إليه دراسة المدنيات واللغات ، وتسابقت الدول بعد ذلك فى إدخال تعديلات وزيادات فى مناهجه وأسسه كل منها حسب فهمها له والغاية التى ترجوها منه ؛ فبعض هذه الدول كان يتخذه أداة صالحة للاستعمار ، وبعضها الآخر يتناوله على أنه علم قائم بذاته له تجاربه وأوضاعه ؛ وعنى به كثيراً فى الفترة الأخيرة فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وأمريكا[٣]

* * *

وهكذا حال بقية العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم النفس الاجتماعى وعلم الاقتصاد الاجتماعى وغيرها لم تكن أثبت وأدعى للطمأنينة فيما سبق من العلوم ، لأن ميادين تجاربها لم تتعين إلا قليلاً ولم يتنوع العمل فيها إلا يسيراً

ورغم هذا فإن تطور علم الاجتماع وبلوغه الدرجة التى يقف عندها الآن مدين فى كثير منه إلى تلك العلوم ، لأنها عملت

(١) أنظر كتاب « الأرض والتطور البشرى » لمؤلفه لوسيان فيفر Lucien Fevre كتاب « بيكاردى والمناطق المحيطة بها » لمؤلفه ديمنجون A. Demangeon

(٢) هذا الاصطلاح لم يقره العلماء إلا أخيراً ، وذلك بعد أن كثر استعماله لدى الألمان

(٣) منذ عام ١٨٦٩ ، والأمريكان منذ عام ١٨٧٩ . وأما كلمة أنتروبولوجى Anthropologie فقل استعمالها كثيراً ؛ غير أن العلماء الانجليز ظلوا يستعملونها حتى الآن . والفرنسيون هم أول من فكروا فى تكوين هذا العلم ، فأنشأوا له كرسياً خاصاً فى جامعة باريس شغله أرمادى كترفاج E. Quatrfages وألقى أول درس فى هذا العلم يوم ١٧ نوفبر سنة ١٨٥٦ أنظر دائرة المعارف الفرنسية Encyclopédie Française ; T. VII. L'espèce Humaine Paris 1936 : 1. 7. 061 —

صور من العصر العباسي

عشق القيـــان

للأســتاذ صلاح الدين المنجد

كان للقيان في العصر العباسي الشأن العظيم والمنزلة العليا . ولم تشغل الحرائر ما شغلته القيان في الأدب والتاريخ والاجتماع ، ولم يكن لهن ما كان لأولاء من أثر في تهذيب النفوس وصقل الطباع وانتشار المجانات ؛ إلا من أوتيت منهن الإمارة والجاه والسلطان ، شبيهات عُليّة وزبيدة والعبّاسة والخيزران

وقد خلا الأدب من صور المخدّرات ، ولكنه رفّ بكثير من صور هؤلاء الجاريات ؛ ففيه عنهن أشاوى حسان ، وأحاديث ظراف ، وأوصاف بارعات

ولم تبلغ القيان هذه الرفعة وتلك المنزلة إلا بعد الجد والجهد ، والتعليم والتلقين ، والصقل والتهذيب ؛ فكن يتخرجن على المغنين الكبار أشباه الموصلي وابن المهدي ، ويحذقن العزف والضرب ، ويتفقهن في العربية ، يحفظن نوادر الأحاديث وفرائد اللغة ، وأمالي المجالس وشوارد الأشعار ؛ ثم يبرعن في إظهار الأنانة والدل ، حتى تصبح القينة مصدر غواية وفتون ، ونثار دعابة وفجور ، وبهجة الأرواح ومنية النفوس ؛ فلا غَرْو إن أقبل عليهن الشِّيخان والشُّبان ، ولا عجب إن هن أتقنّ فن العشق وأصابت سهامهن قلوب الأبعاد والأحباب .

وقد ألّفوا عنهن رسائل حسانا ، منها رسالة القيان للجاحظ ، وكتاب القينات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وكتاب القينات للمدائني ، وكتاب القينات ليونس بن سليمان المغني ، وغيرهن كثار[1]

(١) أنظر هذه التواليف في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخامس المجلد السادس عشر سنة ١٩٤١)

وما زالت تتعاون فيما بينها على كشف حقيقة عدد غير قليل من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية . وكثيراً ما استفاد إميل دركيم من البحوث الأنثولوجية التي قام بها « سبنسر وجلن » Spencer & Gillen على قبائل استراليا ؛ وذلك حينما حاول دركيم عام ١٩١٢ تفسير الظواهر الدينية لدى الأمم المحدودة المدنية . ونرى كذلك « ليڤي برهل » Levy-Bruhl يرجع دائماً إلى نتائج البحوث الأنثولوجية حينما يريد أن يحدد ويحلل عناصر التفكير ووسائل التعبير عنه لدى الأمم المحدودة المدنية . ونجد أيضاً فرزر G. Frazer « ومرجان » Morgan « ووستر مارك » Westermark « ومارسل موس » M. Mauss وغيرهم من الاجتماعيين لم يتمكنوا من التقدم خطوة واحدة في بحوثهم وتحقيق نتائجها دون الرجوع إلى بحوث الأنثجرافيين

وإذا أنعمنا النظر يظهر لنا الفرق الحقيقي بين العلوم الاجتماعية من حيث فائدتها لعلم الاجتماع ؛ فالأنتولوجيا هو الطريق المباشر الذي يسلكه الاجتماعي للبحث عن أصل كثير من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية بل والمبادئ العلمية نفسها ؛ لأننا لم نزل نشاهد في كثير من بقاع الأرض أمماً وقبائل تتبع في طريقة عيشها وسائل بسيطة ، وتتبع في التعبير عن تفكيرها وشعورها صوراً متناهية في البساطة إلى درجة يمكن اعتبارها إحدى صور الحياة والتفكير للأمم التي سكنت أوربا وغيرها في عصور ما قبل التاريخ . فهي صور خالية من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية . وإن البحث عن أصل تلك الظواهر وكيفية نشأتها وطريقة تكوينها ثم العناية بترتيبها وتبويبها بطريقة علمية منظمة هو غاية الأنثولوجي ؛ وبعمله هذا يكون ثروة علمية لا تفنى لدى العالم الاجتماعي

وسنبحث في الكلمة القادمة عن أهمية البحوث الأنثولوجية بحوض النيل والعمل على تنظيم تلك البحوث وإدخالها ضمن التعليم العالي بمصر

محمد جمول عبد الحميد

على أنه لم يصل إلينا من هذه الرسائل كلها غير رسالة الجاحظ التي ذكر فيها الكثير من أحوال القيان وطباعهن وميولهن وأخلاقهن وطرقهن في الإغواء . وقد خصهن أبو الطيب الوشاء في كتابه « الموشى »[1] بفصل ممتع عن عشقهن وغرامهن ، زاد فيه على ما ذكره الجاحظ وأفاد

وقد لا نجد في أدبنا العربي صفحة أكثر متوعاً وأبرع وصفاً وأشد دقة من وصف الجاحظ والوشاء لعشق القيان ، والحيل التي يتبعنها لاستمالة الشبان ، والسبل التي يسلكنها لطردهم إذا نفدت دنانيرهم وأفلسوا . فلقد بلغا في وصفهما الذروة التي لا تسامى ، والغاية التي لا تدانى

لا جرم أن الجاحظ كان أسبق إلى وصف ذلك ، ولكنه أجمل وأوجز ؛ أما الوشاء فلم يتعد ما قاله الجاحظ إلا قليلاً ولكنه شرح وفصّل

والمهم في وصف عشق القيان أن الكاتبين أبانا فيه عن عواطف كامنات ، وحيل مكنونات ، وطرق مغريات ، حتى تشعر وأنت تقرأ أنك اليوم بين يدى غانية من غواني الحانات اللواتي يخرجن في الفتنة والإغواء

فقد قرروا أن القينة لا تكاد تخلص في عشقها ، أو تناصح في ودها ، لأنها مجبولة على نصب الحبالات والشراك للمتربطين ليقعوا في أنشوطتها . ذلك لأن حبهن كلهن كذوب ، وعـ[illegible]ـن متبدل غير ثابت . فهو لطمع وغرض ، ولذا كن يقصدن أهل النشب واليسار ، ويصدفن عن ذوى الإقتار

وكان من عادة القينة إذا رأت في مجلس فتى له غنى وكثرة مال وحسن حال ، أن تميل إليه لتخدعه ؛ فتمنحه بادئ بدء نظراتها ، وغمزته بطرفها ، وأشارت إليه بكفها ، وداعبته بالتبسم ، وغازلته بأشعار الغناء ، فغنت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، ثم تظهر الشوق إلى طول مكثه ، والميل إلى سرعة عوده ؛ حتى توقع المسكين في حبالها ، وتعلّق قلبه بحبها ، وتطمعه في قربها ثم تحزن لزواجه ، وتبكي لفراقه ، وتكاتبه تشكو إليه هواها ، وتقسم له أنه ضميرها في ليلها ونهارها ، وأنها لا تريد سواه ، ولا تؤثر أحداً على هواه ، ولا تنوى انحرافاً عنه ؛ ثم تعزز ذلك بالرسل ، وتخبره عن سهرها ، وتنبئه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتخبره بالأرق ، وتبعث إليه بخاتمها وفضلة من شعرها ، وقلامة من ظفرها ، وقطعة من مسواكها ، ولبان قد جعلته عوضاً من قبلتها ، وكتاب قد نمقته بظرفها ، ونقطت عليه قطرات من دمعها ، وضمنته الشوق والشكوى ، وسألته المواتاة على حبها ... وربما منحته من ريحانها ، وأهدت إليه في النيروز سكراً وفي المهرجان خاتماً ؛ وأخبرته أنها لا تمل الدموع إذا غاب ، ولا ذكرته إلا تنغّصت ، ولا هتفت باسمه إلا ارتاعت ... فلا يشك المسكين في إخلاص حبها ، فيميل إليها بوده ... حتى إذا رأت أنها حوت عقله ، وصارت شغله ، واستمالت لبّه ، وسلبت قلبه ، وعلمت أنه غريق في بحر حبها ... أخذت في طلب الهدايا ، فتشتهي الثياب والأزر والأردية والعمائم والتكك والخفاف . والعصائب المرصعة ، وخواتيم الياقوت ، ثم تمارضت من غير سقم ، وتعالجت من غير حاجة منها إلى الدواء لتجيئها هدايا ذوى الوجد ، من القمص المنبرة ، والغلائل الممسكة ، والأردية المرشوشة ، ومخانق الكافور ، والمسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ، والعود الهندى ، والماورد الجورى ، والفراريج ، والجداء الرضع ، والدجاج الفائق ، والفراخ المسمنة ، والفاكهة والرياحين ؛ يتبعها صنوف من الشراب : من العسل والمطبوخ والشمس ، ثم تلحقها الدنانير والدراهم ، فلا تزال في هدايا متواترة ، وألطاف متتابعة . حتى إذا نفد اليسار وذهب الإكثار ، وأتلف المال وجاء الإقلال ، وأحست بالإفلاس ... أظهرت الملل ، وتبرمت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وتفقدت منه الزلل ، وتتبعت عليه سقطاته ، وأخذت في الجفاء والعتاب والقلى والإبعاد ؛ وصرفت عنها هواه ومالت إلى سواه ، فحينئذ يدرك المغرور الندم والأسف

(١) طبع في ليدن بعناية المستشرق رودلف برونو قبل نصف قرن تقريباً .

ولقد كانت القيان ينظرن إلى المال ، وكن يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما مع الفقر . وهذا شأن الحسان كلهن ... « فليس للفقر مع الحب عمل »

وربما اجتمع عند القينة من مربوطيها ثلاثة أو أربعة ، وعندئذ يتحامون الإجتماع ، ويتغايرون عند الإلتقاء ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للآخر بالأخرى ، وتغمز هذا بذاك ، وتعطي واحداً سرها ، والآخر علانيتها ، وتوهم أنها له دون الآخر ، وتكتب لهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين وحرصها على الخلوة به دونهم جميعاً (١) .

* * *

وبعد ، فما رأيت أبرع ، ولا أحسن ، ولا أرق ، ولا أملح ، ولا أنفذ في العواطف ، ولا أكسب للقلوب من هذا الوصف . حتى لتحسب أنك أمام عالم نفسي لا يدع غمزة ولا إشارة ولا عاطفة ولا حيلة إلا أحصاها . وليت شعري أكان الجاحظ والوشاء عاشقين للقيان لقيا في سبيلهما الجهد والعناء ، فثأرا منهن بهذا الوصف ؟ وكأني بالجاحظ « وهو الذي عابوه بملك القيان (٢) » قد تيمه هواهن ، وأذبل غصنه جبهن ... أو أنه رأى عن قرب ما كن يصنعن .

فقال : « ولو لم يكن لإبليس شرك يقتل به ولا علم يدعو إليه ولا فتنة يستهوي بها إلا القيان لكفاه » ثم يستدرك فيقول « وليس هذا بذم لهن ، ولكنه من فرط المدح ، وليس يحسن هاروت وماروت ، وعصا موسى وسحرة فرعون ، إلا دون ما يحسن »

على أن الجاحظ إذا قسا عليهن فقد اتخذ لهن أعذاراً . قال : « وكيف تسلم القينة من الفتنة ، أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب الأهواء ، وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي

(١) أنظر رسالة القيان للجاحظ ص (٧١ — ٧٣) ، والوشي (٩١/٢ — ٩٠)

(٢) أنظر مقدمة رسالة القيان .

تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب والأخاييث ، وبين الخلعاء والمجان ، وتروي الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعداً ؛ يكون الصوت فيما بين البيتين إلى أربعة أبيات ، إذا ضرب بعضه ببعض يكون عشرة آلاف بيت ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ، ولا ترهيب عن عقاب ، ولا ترغيب في ثواب ؛ وإنما بنيت كلها على ذكر الزنا والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغلمة ؛ ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها ، منكبة عليها ، تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش ، وإنشادهم مراودة ، وهي مضطرة إلى ذلك في صناعتها ، لأنها إن جفتها تفلتت ، وإن أهملتها نقصت ، وإن لم تستفد منها وقفت »(١) .

* * *

تلك صفحة من أدبنا العربي ما أحسب أنها تقل عن أدب كبار الوصافين والنفسيين في الغرب ، لأنها صورة حية تشيع منها القوة والصدق ، ما نزال نراها كل يوم .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) انظر المصدر السابق : رسالة القيان (٧٢ — ٧٣)

في الفلسفة الإسلامية

٣ ـ إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقي

رسائلهم

هي موسوعة ضمت بين دفتيها مبادئ العلوم التي كانت معروفة في البلاد العربية حتى القرن الرابع الهجري ، ولا سيما تلك التي ترجمت من اليونانية . وقد اعترف إخوان الصفاء بأنهم ألفوها كنماذج ومقدمات للعلوم فلم يتوسعوا في بسط قضاياها . ويقولون في ذلك : « قد عملنا إحدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم ، كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج(١) » .

ويظهر أنهم ألفوها للاخوان الأبرار الذين هم أولى طبقات هذه الجماعة ، ولم يقتصروا فيها على مبادئ الفلسفة والعلم ، وإنما خلطوها بكثير من الخرافات والأساطير ؛ وحاولوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة محاولين أن يجدوا من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يؤيد نظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم . وخير ما قيل في وصفها رأى أبي حيان التوحيدي : « هي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية ، وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات » وذلك أنهم قالوا : « إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » ؛ وزعموا : « أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال » ؛ وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية ، والأمثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق المهملة(٢) .

والواقع يثبت رأى أبي حيان ، فالرسائل لا تعمق فيها ، ولا نظام يربط بين فصولها ، وفيها تكرار وحشو . وعندي أن الرسائل كانت بمثابة موسوعة تبسط فيها المسائل الفلسفية الأولية بأسلوب يوافق عقلية العامة . وحتى لا ينفر هؤلاء من الفلسفة أخذ مؤلفوها يستشهدون بالآيات والأحاديث الكريمة وبأقوال من التوراة والإنجيل ، وينسبون أشياء إلى نوح وإبراهيم وعيسى ، ويروون قصصاً وأساطير إذا حاولوا البرهنة على مسألة من المسائل بدلاً من استعمال الأسلوب المنطقي الفلسفي . خذ مثلاً محاولتهم البرهنة على خلود النفس فإنك لا ترى سوى أساطير تحكى عن الأنبياء وآل البيت وسقراط وإبراهيم ونوح وأفلاطون وأرسطو وفيثاغور وما قاله كل منهم وما عمله كل(١) . وتخرج من هذا الموضوع إذا بحثته بحثاً علمياً كما ابتدأت فيه دون أن تقتنع ، ولكن عقلية العامة يوافقها هذا الأسلوب تماماً .

هذا وقد وضع الإخوان لرسائلهم مقدمة أشبه بالفهرست بينوا فيها بإيجاز عدد الرسائل والموضوعات التي تعرض لها بحثهم : « وهذه فهرست رسائل إخوان الصفا ، وخلان الوفا ، وأهل العدل ، وأبناء الحمد ، يجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها : وهي اثنتان وخمسون رسالة(٢) في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني من كلام الخلصاء الصوفية ، صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد ؛ وهي مقسومة على أربعة أقسام : فمنها رياضية تعليمية ، ومنها جسمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، ومنها ناموسية إلهية » . ثم أخذوا يبينون موضوع كل قسم : فالرياضيات تشمل العدد والهندسة والموسيقى والفلك والصنائع والمنطق بمقولاته وعباراته وبراهينه ؛ والطبيعيات يتكلمون فيها على الهيولى والصورة والسماء والعالم والكون والفساد وكيفية تكون المعادن وفي النبات والحيوان ؛ والرسائل النفسانية تبحث في المبادئ العقلية وفي البعث والصور والنشور والقيامة ؛ والإلهية تبحث في الآراء والمذاهب ، وبيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية أنواع السياسات وماهية السحر والعزائم . ويختمونها بالرسالة الجامعة التي لم تصل إلينا والتي كشف فيها كما يقولون عن كثير من الرموز والكنايات التي امتلأت بها رسائلهم : « وتليها الرسالة الجامعة ... المشتملة على حقائقها بأسرارها ... إذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمدخل إليها

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤ (٢) الرسائل مقدمة زكى باشا .

(١) رسائل ج ٤ ص ١٠٠

(٢) اختلف في عدد الرسائل ولم نقف على حجة ثابتة في هذا الموضوع ولكن يظهر لنا أن عددها واحد وخمسون ، وهناك رسالة جامعة تحوى زبدة الرسائل . بيد أنها لا توجد في المجموعات التي بين أيدينا ، وقد أشرنا في المقال السابق إلى أن الأستاذ كازانوفا وجد رسالة يظنها الجامعة فارجع إلى ما كتبت هناك .

والأدلة عليها والأنموذج منها ... وهى منتهى الغرض لما قدمناه[1]

ومثلهم فى ذلك — على حد تعبيرهم — كمثل بستانى له حديقة لم تر العين مثلها حسناً وإبداعاً ، وأراد لكرمه أن يدعو الناس إليها والتمتع بما فيها ، فأخذ نماذج من أزهارها ورياحينها وفاكهتها ووقف أمام بابها يعرضها على الناس ، حتى إذا تذوقوها وعرفوا مزاياها واشتاقت نفوسهم لدخول البستان أفسح لهم الطريق كى يتمتعوا ما شاءوا ويتلذذوا ويطربوا

ويختم إخوان الصفاء كل رسالة بنصيحة للأخ البار الرحيم حتى يتفهم غرضها ويعرف أسرارها . ثم إنهم كانوا يكثرون من القصص على لسان الحيوان ، ويدلون بأشياء لو صرحوا بها لفضح أمرهم وانكشف سترهم . ومهما يكن الأمر فرسائلهم سهلة الأسلوب خالية من السجع والمحسنات البديعية ، واضحة العبارة أحياناً ، غامضة فى الغالب من حيث القصد والغاية . وقد ذكرنا فى المقدمة أن الغرض من تأليفهم هذه الرسائل بث تعاليمهم السرية وإيجاد طبقة من الشعب مثقفة تقود الرأى العام إلى أغراضهم السياسية وهى قلب نظام الدولة

آراؤهم الخيالية

لا نريد أن نتعرض فى هذا البحث إلى كل ما تناوله إخوان الصفا فى رسائلهم من خرافات ، وإنما الذى يهمنا أن نضرب أمثلة على إغراقهم فى الخيال أحياناً . فأنت تراهم مثلاً فى رسالة العدد ، وعلى العموم فى الرياضيات يتبعون الفيثاغوريين ، فلا يهتمون فى البحث فى علم الحساب كما يهتمون بتبيان خواص الأعداد والكلام عن موسيقى الأفلاك ... الخ ؛ وهاك مثلاً على ذلك : « إعلم بأن كون العدد على أربع مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد ، ولكنه أمر وضعى رتبته الحكماء باختيار منهم ، وإنما فعلوا ذلك لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية ، وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها البارى جل ثناؤه مربعات منها : الطبائع الأربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، ومثل : الأركان الأربعة التى هى النار والهواء والماء والأرض ، ومثل الأخلاط الأربعة التى هى الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ومثل الأزمان الأربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع ...[1] الخ »

(١) رسائل جـ ١ ص ١٩ (٢) رسائل جـ ١ ص ٢٧

والواحد من الأعداد هو أصل كل الأعداد ، وعنه تصدر بالتكرار ويذهبون مذهب الفيثاغوريين فى ذلك وهو أن الواحد أصل الوجود وإن حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة : « واعلم أن البارى جل ثناؤه أول شىء اخترعه وأبدعه من نوره جوهر بسيط يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل ، كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الإثنين ؛ ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة . ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس ؛ كما أنشأ سائر العدد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها »[1] ومن ذلك قولهم : « إن منفعة الشكل المتسّع تسهيل الولادة إذا كتب على خزفين لم يصبهما الماء وعلقهما المرأة التى ضربها الطلق »[2]

ويقولون فى نشأة علم الفلك : « إن هرمس المثلث الحكمة وهو ادريس النبى عليه السلام صعد إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ؛ ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم ، قال تعالى (ورفعناه مكاناً علياً)[3] » .

ويعتقدون بتأثير الكواكب فى السعد والنحس « الكواكب السبعة السيارة اثنان منها نيران ، واثنان منها سعدان ، واثنان نحسان ، وواحد ممتزج . أما النيران فالشمس والقمر ، والسعدان المشترى والزهرة ، والنحسان زحل والمريخ ، وأما الممتزج فعطارد »[4]

وأكثر من ذلك خرافة قولهم : « اعلم يا أخى أن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك السموات ، خلقهم الله تعالى لعمارة عاله وتدبير خلائقه وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله فى أفلاكه ، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله فى أرضه »[5] ويعتقدون أن لحركات الأفلاك والكواكب نغمات وألحاناً طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها الذين هم الملائكة ؛ فإن قال قائل : « لا بد إذاً أن يكون لهم شم وذوق ولمس » قلنا : « إن هذه حاجة الحيوان الآكل للطعام والشارب للشراب ؛ أما هم فغذاؤهم التسبيح ، وشرابهم التهليل ، وفاكهتهم الفكر والروية واللذة والفرح . . .

ويقال إن فيثاغور الحكيم سمع بصفاء جوهره وذكاء قلبه نغمات الأفلاك والكواكب ، فاستخرج بجودة فطرته أصل الموسيقى

(١) رسائل ج ١ ص ٢٩ (٢) رسائل ج ١ ص ٨١
(٣) رسائل ج ١ ص ٩٢ (٤) رسائل ج ١ ص ٩٦
(٥) رسائل ج ١ ص ٩٨

ونفات الأفلاك ، وهو أول من تكلم فى هذا العلم »[١] . ولولا خيفة الإطالة لذكرت كثيراً من هذه الآراء الخرافية ، وحسبك أن تقرأ رسالة السحر والطلاسم والتعاويذ ، وكيف يحاولون معرفة الجنين وقدوم الرسول ومعرفة الكتاب قبل فضه واللص وماذا سرق ومعرفة الحروب وأسبابها . . . الخ[٢]

مراتب الوجود :

« اعلم يا أخى أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل ملماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء لم يكن من الحكمة أن يحدث تلك الفضائل فى ذاته ، فلا يجود بها ولا يفيضها ؛ فإذاً بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء »[٣]

وقد استمر هذا الفيض فنشأ عنه العالم ، وأنت ترى أنهم يأخذون بنظرية الفيض التى ابتدعتها الأفلاطونية الحديثة ، وأنهم يقولون بالعناية الإلهية التى وضحها ابن سينا فيما بعد بقوله : « لما كان المبدع الأول يعلم ذاته ويعلم لذلك نظام الخير فى الوجود المطلق كان علة للخير والكمال اللذين فاضا على الوجود عند ما فاض الوجود نفسه ، فانتقل بذلك نظام الخير إلى العالم بحسب القدر الممكن لهذا العالم »[٤]

والعالم عندهم على الترتيب الآتى :

١ — العقل الفعال : وهو جوهر بسيط روحانى أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد البارى تعالى علام بالفعل

٢ — النفس الكلية : وهى جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان ، فعالة فى الهيولى بالتحريك لها

٣ — الهيولى الأولى : وهى جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها

٤ — الطبيعة الفاعلة : وهى قوة من قوى النفس الكلية سارية فى جميع الأجسام محركة مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية أو الملائكة

٥ — الجسم المطلق : ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية

(١) رسائل ج ١ ص ١٥٣ (٢) رسائل ج ١ ص ٢٤١

(٣) الرسائل ج ٣ ص ١٩٧

(٤) كتاب النجاه لابن سينا وفيه ملخص كتاب الشفاء

٦ — عالم الأفلاك : وسنتكلم عليه بالتفصيل فيما بعد

٧ — العناصر السفلى : كالنار والهواء والماء والأرض

٨ — المعادن والنبات والحيوان المكون من العناصر السابقة . وقد فاضت كلها من الله ، ولكن وقف الفيض بعد الجسم المطلق الذى لم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية[١]

عالم الأفلاك :

الأفلاك أجسام كرية شفافة مجوفة ، وهى تسعة أفلاك مركبة بعضها فى جوف بعض كلفة البصلة . وهناك كرتان ليستا من الأفلاك ، وهما كرة الهواء وكرة الأرض ، فيكون المجموع إحدى عشرة كرة . وتقع الشمس فى الوسط ، وفوقها خمس كرات وتحتها خمس ؛ فالتى فوقها على الترتيب ... كرة المريخ ، المشترى ، زحل ، الكواكب الثابتة ، ثم فلك المحيط ، والتى تحتها على الترتيب ... الزهرة وعطارد ، والقمر ، ثم كرة الهواء ، ثم كرة الأرض التى هى المركز ، وليست مجوفة ولكن متخلخلة

والشكل الكرى أفضل الأشكال كلها ، وحركته تامة ، وأفضل الحركات . والفلك المحيط ألطف الأجسام وأشدها روحانية وأشفها نوراً لقربه من الهيولى الأولى . والأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها عن الفلك المحيط . والقمر هو السماء الأولى وعطارد السماء الثانية وهكذا حتى تنتهى من السموات السبع التى آخرها زحل . أما فلك الكواكب الثابتة فهو الكرسى الذى وسع السموات والأرض ، والفلك المحيط هو العرش العظيم الذى يحمله يومئذ ثمانية[٢]

هل قالوا بالنشوء والارتقاء ؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن إخوان الصفا كانوا يقولون بنظرية النشوء والارتقاء . والواقع أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن هذا ، بيد أن لهم نظرية خاصة فى تدرج الأجسام المولدة :

« واعلم يا أخى بأن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ، وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ، كما أن أول مرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة فقط كالحلزون والديدان التى تتكون فى الطين وقعر النهر ...

(١) ج ٣ ص ١٩٨ — ١٩٩ (٢) ج ٢ ص ٢٢ رسائل

٢٦ ـ المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد دليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثامن — عادات المجتمع العامة

للطبقة المهذبة تحيات وتهنئات أخرى متكلفة تتبع السلام. كما أن هناك عبارات خاصة للرد على أكثرها أو عبارتين أو أكثر قد تستعملان في بعض الأحوال. غير أن الرد الذي لم تلزمه العادة قد يعتبر دليلاً على الجهل أو الخساسة. وعند ما يسأل رجل صديقه « كيف صحتك »(١) يجيبه الآخر « الحمد لله » ويستدل المستفهم باللهجة التي يرد بها الآخر إذا كان صديقه معافى أو مريضاً ، وعند ما يقول الواحد للآخر « طيبين » يجيب الآخر عادة « الله يبارك فيك » أو « الله يسلمك » ، وعند ما يتقابل صديقان لم يلتقيا عدة أيام أو وقتاً طويلاً يقول أحدهما بعد السلام « أوحشتنا » فيجيبه الآخر : « الله لا يوحشنا منك » . وقد يشغل ذكر التهنئات الفخمة التي يستعملها المصريون عادة صفحات من هذا الكتاب

ولا يدخل الرجل منزل غيره بدون استئذان لأن القرآن حرم ذلك صراحة (١) ، وعلى الأخص إذا كان يريد أن يصعد الى إحدى الغرف العليا ، فلا بد في هذه الحالة أن يصيح طالباً الإذن ، أو يعلن قدومه عند ما يصعد السلم بالطريقة التي وصفتها سابقاً . وإذا لم يجد أحداً أسفل المنزل يصفق بيديه عند الباب أو في الفناء وينتظر نزول الخادم إليه أو الإذن له بالجلوس في حجرة سفلى أو بالصعود إلى غرفة عليا . ثم يحيي رب الدار عند ما يدخل الغرفة التي يجلس فيها ، فيرد عليه رب الدار ويرحب به بأدب وبشاشة . ويقف رب الدار لمن كان أعظم منه(٢) ولأقرانه على العموم ، ويتقدم لاستقبال من هم أعلى منه مركزاً إلى الفناء أو بين الفناء وغرفة الاستقبال ، أو في مدخل الغرفة أو وسطها ، أو على بعد خطوة من مكان جلوسه . وكثيراً ما يكتفي عند استقبال أقرانه بأن يتحرك حركة خفيفة كما لو كان يهم بالوقوف . ولا يتحرك لمن دونه مقاماً . ويقدم رب الدار إلى الرفيع القدر وإلى أقرانه غالباً أفضل مكان في ركن من الديوان على يمين من

(١) « إيش حالكم »

(١) سورة النور آية ٢٧

(٢) أي لمن فاقه في المكانة أو الغنى أو في الشهرة الدينية أو الأدبية

فهذا النوع حيوان نباتي لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه . ولما كان جسمه يتحرك حركة اختيارية كان حيواناً . (أما رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الإنسان فليست من وجه واحد ، ولكن من عدة وجوه ، فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسده كالقرد ، ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ، ومنها كالطائر الإنساني أيضاً ، ومثل الفيل في ذكائه ، وكالببغاء والهزار ونحوهما ، ومنها النحل اللطيف الصنائع ... إلى ما شاكل هذه الأجناس . فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسان لما يظهر فيها من الفضائل الإنسانية(١))

ولا شك أن هذه النظرية بعيدة كل البعد عن مذهب النشوء والارتقاء الحديث ، إذ جعلوا الفيل والنحل والطائر قريبة الشبه بالإنسان وفي أعلى مراتب الحيوان . ولعلنا إذا أخذنا رأيهم من الناحية العضوية البيولوجية توجد عندنا شبهة للقول بمذهب النشوء ، فالحلزون حيوان نباتي ، والقرد قريب للانسان جسمياً . ولكن حتى مع هذا لم يقل إخوان الصفا بأن الإنسان هو والقرد متفرعان من أرومة واحدة . وهم يعتقدون أن النبات متقدم في الوجود على الحيوان لأنه غذاء له ، والحيوان متقدم على الإنسان لأن وجوده لخدمته ومنفعته(١)

(يتبع)

عمر الدسوقي

مدير كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

(١) الرسائل ج ٢ ص ١٤٤

(١) رسائل ج ٢ ص ١٥٥

يواجه « صدر » الغرفة أى طرفها الأعلى ، ويعتبر المجلس الممتد بطول « الصدر » أكثر إجلالاً من المجلسين الممتدين على الجانبين ، ويسمى كل منهما « جنبيا » ، ولا يجلس من هم دون رب الدار فى الصدر أبداً إلا إذا دعاهم إلى ذلك . وكثيراً ما يرفضون هذا الشرف . ويجلس أقران رب الدار واضعين رجلاً على رجل ، أو رافعين ركبهم ومستندين على المساند . وكثيراً ما يجلس من دونه ، بادئ الأمر على الأقل ، على أعقابهم أو على حافة الديوان أو على الحصير أو البساط إذا كان فرق المكانة بينهما كبيراً . وتقتضى دقة الآداب ألا يظهر الزائر يديه عند دخول الغرفة أو عند الجلوس ، ويجب أن يسبل كميه عليهما ، وألا يمد رجليه عند ما يجلس على الديوان ، وألا يترك قدميه مكشوفتين ، ولكن هذه القواعد لا تراعى إلا فى منازل العظماء . وتردد التهانى والتحيات بعد السلام وعلى الأخص عبارتا « طيبين » و « إيش خالكم » مرات عديدة أثناء المحادثة .

وقد يقوم أحياناً خادم الزائر نفسه بتقديم الشبك ، فيخرج السيد كيس التبغ من عبه ويناوله الخادم الذى يملأ الشبك منه ثم يطويه ويعيده بعد ذلك أو عند انتهاء الزيارة . وفى غير هذه الحالة يقدم خادم المضيف شبكا إلى الزائر وآخر إلى سيده ثم يناول القهوة (١) لأن التدخين بدون قهوة كالطعام بلا ملح ، كما يقول العرب . ويحيى الزائر رب الدار عند ما يتناول الشبك والقهوة بالتمنية فيردها الأخير إليه ، وكذلك الأمر عند ما يعيد الفنجان إلى الخادم ، كما أن رب الدار يحيى ضيفه بالطريقة نفسها إذا لم يكن الفرق بينهما كبيراً . وكثيراً ما يلبث الخدم فى الغرفة مدة الزيارة واقفين باحترام عند طرفى الغرفة الأسفل ضامين اليدين (اليسرى فى اليمنى) فوق الحزام ، وينادى على الخدم عادة بالتصفيق بأصابع اليمنى على راحة اليسرى ، ويسمع صوت التصفيق فى المنزل لأن النوافذ من الخشب المشبك .

ويدور الحديث على الأخبار اليومية وحال التجارة وأسعار المؤن ، والدين والعلوم أحياناً ، وتروى الحكايات الفكاهية . ويحدث كثيراً أن تسرد القصص والأمثال البذيئة فى غير المجتمعات . وقلما يتحدث الناس فى المجتمعات الطيبة عن نسائهم ، ولكن كثيراً ما يفعل ذلك الأصدقاء الخلص ومن لا يراعى دقة قواعد الأدب بطريقة لا تكون لطيفة دائماً . ويستفسر المهذبون كل عن (منزل) الآخر للاطمئنان على الزوجة والعائلة . وكثيراً ما تشغل الزيارات وقتاً طويلاً ، وقد تستمر أحياناً طول اليوم وعلى الأخص زيارات الحريم . ويتكرر حشو الشبك أو تبدل بغيرها كلما اقتضت الضرورة ذلك لأن الزائر لا ينقطع عن التدخين مدة بقائه . ويعاد تقديم القهوة والأشربة أحياناً . وقد سبق وصف طريقة تقديم القهوة والأشربة . وتقدم التهانى نفسها إلى الزائر بعد الشراب كما تقدم كذلك بعد جرعة ماء (١)

وجرت العادة فى منازل الأثرياء أن يرش الضيوف قبل انصرافهم بماء الورد وماء الزهر ، ويطيبون ببخور بعض المواد العطرية . وقد أصبحت هذه العادة غير شائعة فى السنوات الأخيرة . وتكون قارورة العطر المسماة (قمقماً) من الفضة الساذجة أو المذهبة ، أو من النحاس الدقيق أو من الفخار الصينى أو من الزجاج ولها غطاء به ثقب صغير . أما أداة البخور المسماة (مبخرة) فتكون من أحد المعادن المذكورة ويجهز وعاء الجمر بالجص أو يملأ نصفه ، وبغطائه عدة ثقوب لصعود الدخان



(شكل ٥١) القمقم والمبخرة

(أنظر شكل رقم ٥١) . وتستعمل المبخرة بعد القمقم . ويقدمها الخادم إلى الزائر أو السيد فيحول البخور نحو وجهه ولحيته الخ ، بيمناه . وتفتح المبخرة أحياناً لإرسال البخور بلا عائق . وأكثر المواد استعمالاً : العود والجاوى وقشر العنبر . ويبلل الخشب

(١) ويتناول الزائر الشبك والقهوة قبل رب الدار إذا كان عظيما أو لا يقل مركزه كثيراً

(١) أنظر الفصل الخامس

العطرى قبل أن يوضع على الجمر . ويستعمل المنبر للغرض نفسه ولكن يندر استعماله إلا فى منازل الأثرياء لغلو ثمنه . وينصرف الزائر بعد أن "يعطَّر" ؛ ولكنه لا يخرج قبل أن يستأذن ثم يقرأ السلام ويقدم غير ذلك من التحيات والتمنيات التى يرد عليها رداً موافقاً . ويجب على رب الدار إذا كان الزائر يفضله مركزاً ألا يقوم له فحسب ، بل يرافقه إلى أعلى السلم أو إلى باب الغرفة ثم يودعه فى أمان الله

ومن المعتاد أن يعطى الزائر قبل انصرافه من الزيارات المعظمة هدية صغيرة قرشين أو ثلاثة قروش أو أكثر حسب الظروف ، إلى أحد الخدم أو بعضهم . ويرافق الزائرَ أحد الخدم إذا كان مطيته على الباب أو فى الفناء ليساعده على الركوب ، وينتظر هذا الخادم الحسن الالتفات — على الأخص — عطيةً ، وعند ما يعطى الزائر الخدم نقوداً فعلى السيد أن يرد المثل تماماً عند رده الزيارة

وكثيراً ما يتبادل الأصدقاء الهدايا تبعاً للعادة العامة ، ويقدم الأصدقاء الهدايا عند أى حفل خاص ، والقاعدة العامة أن يرد إلى مقدّم الهدية واحدة مماثلة أو فى قيمتها عند مناسبة مماثلة . والشائع أن يعبر المهدى إليه فى مثل هذا الحفل عن رجائه استطاعة رد الهدية فى مناسبة مشابهة ، ويعتبر هذا الشكر المصحوب بالإشارة إلى وفاء دين الهدية أدباً وتلطفاً فى هذا البلد وإن كان الأوربى الكريم يراه إهانة له . وتُلفّ الهدية فى منديل مطرز يعاد إلى الرسول مع منحة مالية صغيرة . ومن الهدايا الشائعة الفاكهة تقدم على أوراق الشجر ، والحلوى فى طبق أو على صينية تغطى بمنديل ثمين أو بمفرش . وكثيراً ما تقدم الهدية إلى العظيم لأجل الحصول على هدية أثمن ، ويفعل هذا غالباً الخادم . وقلما يرفض السيد الهدية ، ولكنه يدفع فى الحال نقوداً تفوق قيمتها . وليست عادة منح الخدم منحة بعد الزيارة شائعة الآن كما كانت منذ بضع سنوات . إلا أنه لا يزال أغلب الناس يراعون ذلك فى الزيارات الكبيرة وعلى الأخص فى العيدين ، كما يراعى ذلك المدعوون إلى الحفلات الخاصة ؛ وسنصف عادات أخرى مثل العادات الأولى يراعيها المصريون فى هذه الحفلات فى الفصل السابع والعشرين ويعتبر رفض الهدية إهانة لمقدمها ، وتعبيراً عن زوال الحظوة

وهناك عادات كثيرة يراعيها المصريون ، لا فى الزيارات الكبيرة ، أو فى حضرة الغرباء ، أو عند مقابلة الأصدقاء العارضة فحسب ، بل فى الملاقات العادية ، فعند ما يعطس الرجل يقول : الحمد لله ، فيقول كل من الحاضرين حينئذ ما عدا الخدم : يرحمكم الله ؛ فيرد عليهم : يهدينا ويهديكم الله ، أو بعبارة مماثلة . وإذا تثاءب يضع ظهر يسراه على فمه ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ولا يقال له شيء فى هذه الحالة ، لأن تجنب ذلك أجدر ، إذ المعتقد أن الشيطان يقفز إلى فم المتثائب . والعادة أن يستغفر الله من يخالف قواعد الآداب بدلاً من الاعتذار للحاضرين. وهناك عدة عبارات تقال بعد الحلاقة أو الاستحمام أو الوضوء أو الصلاة ، أو أى فعل يستحق الثواب ، أو عند القيام من النوم أو عند ما تُشترى ملابس جديدة أو تُلبس ، وفى عدة مناسبات أخرى ، ولتلك العبارات أجوبة خاصة

والقاعدة أن يكرم المسلمون يمناهم يداً وقدماً ، فيستعملون اليد اليمنى للأغراض الجليلة واليسرى للأعمال التى تعتبر على رغم ضرورتها حقيرة ، ويلبسون الحذاء الأيمن ويخلعونه قبل الأيسر ، ويخطون عتبة الباب بالقدم اليمنى قبل اليسرى

ويجامل المصريون بعضهم بعضاً إلى أقصى حد . ولتحيتهم وسلوكهم العام رقة ووقار خاصان ومهارة سلسلة تبدو أنها فى طبيعتهم لملاحظتها فى الفلاحين أيضاً . ويتفاخر أهل المدن من الطبقتين الوسطى والعليا بحسن الأدب ورشاقة المنهج وقوة الذكاء وطلاقة اللسان ؛ إلا أنهم ليسوا أقل خلاعة فى أحاديثهم من مواطنيهم الأقل تربية . ويمتاز المصرى على اختلاف طبقاته بالبشاشة والأنس . ومن المألوف أن ترى غريبين يتحدثان بحرية كما لو كانا صديقين قديمين فى أى مكان ، ويقدم أحدهما شبكه إلى الآخر . وليس من غير المعتاد ولا من سوء الأدب أن يستفسر الغريب فى أول مقابلة عرضية عن اسم الآخر وصناعته أو تجارته ومسكنه . وكثيراً ما تنشأ فى مثل هذه المناسبات صداقة دائمة بينهما[1] . وقلما يسمع فى مجتمعات الطبقتين العليا والوسطى ما يمس شعور الحاضرين ؛ ولا يجرؤ الخليع مهما كانت خلاعته أن ينطق أى عبارة يقصد بها الهزؤ . ومع ذلك فأغلب الناس من جميع الطبقات هم خلعاء فى أحاديثهم ويحبون الدعابة إلى أقصى حد . وحديث المصريين مؤثر حار ، ولكن أفراحهم تكون أبداً بلا جلبة تقريباً . وقلما يستسلمون للضحك العالى وإنما يعبرون عن سرورهم بالابتسام أو الهتاف

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وكثيراً ما يتخاطب الناس بألفاظ القرابة مثل الأب والابن والعم وابن العم والأخ والأخت والأم والبنت والخالة وبنت الخالة الخ

نجوى المغني ...

[مهداة إلى الموسيقى النابغ
الأستاذ محمد عبد الوهاب]

للأستاذ محمود عماد

يا نضيرَ العودِ هاتِ الـ عودَ إنى سأغنّى
واجلُ لى حسنَك إنى منهُ قد أُلهمتُ فنى
كل معنى فيك يوحى لىَ لحناً بعد لحنِ

إن تكن ماء فألحا نِىَ للماء خرير
أو تكن ناراً فمنه ن شهيقٌ وزفير
وإذا ما كنت زهراً لم يفتهن العبير
مثلما ألقاك تلقا نى على العود أغنى

فيكَ للشعر معانٍ غالياتٌ كالجواهر
فيك للتصوير ألوا نٌ كألوان الأزاهر
كيفَ لا يجلوك لحنى فى مجاليك البواهر
سأغنيك إلى الدّ نيا فتروى ما أغنى

يا حبيبى هاتِ لى العو دَ وهاتِ الخدَّ هاتِ
رَوِّ عينىّ ورَوِّ الـ عودَ من ماء فُراتِ
فإذا الألحانُ تهمى حانياتٍ عاطراتِ
كندَى الوردِ ، ففَنِّ بفمى حين أغنى

مَن ترَى غيرِىَ إن غنّا كَ يا فاتن أبدعْ
إننى أعطيكَ ما مِن زهرِ بستانِك أجمع
فأنلنى يا حبيبى خيرَ ما فيه وأمتع
واصرف الحارسَ عنى أو فإنى لا أغنى

محمود عماد

أغنية

ضفاف النيل

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

صفقَ الموجُ وغنّانا أناشيدَ الجمالِ
ومضى الزورقُ يجرى مطمئناً لا يُبالى
يا ضفافَ النيلِ روّى القلبَ من خمرِ الليالى

جددى عُرسى وأفراحى وأُنسى واسكبى النشوةَ فى روحى وحسّى
ودعينى قبلما تفرغُ كأسى وأرَى الدنيا فما تضحكُ نفسى

واجرِ يا زورق نشوان على نورِ الأمانى
حولكَ الدنيا صفاء وضياء وأغانِ
ضحكَ الكونُ وغنى بهوانا الشاطئان

فأعيدى نغمة الماضى إليّا يا ضفافَ النيل روّى مقلتيّا
من ضياء يملأ الأرواح ريّا قد دعا الحبُّ إلى دنياى هيّا

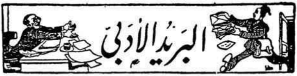
نعبُر الشطآن فى ظلّ من النُّعمى نغنى
فابتعدْ يا دهرُ لا تحرمْ فؤادينا ودعْنى
لا تقفْ بين هوى نفسى وآمالى وبينى

أيها النيلُ على صدرك يجرى زورقٌ تحدوه آمالٌ بصدرى
أنت تدرى ما بقلبى أنت تدرى وتعى سِرِّى ولا تجهل أمرى

كُنْ رفيقاً أيها النيلُ ودعْنا وهوانا
غنِّنا أحنَ صبانا ، واسقنا واطفِئْ صدَانا
واملأ الجو فتوناً وأماناً وحنانا

يا حبيبى ها هى الدنيا أراها مثلما أهوى بعينى وتراها
آه لو تغفلُ عنا مقلتاها أبد الدهرِ وهل تُغنيك آها !

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



اتجاهات جديدة لرجال التعليم

في الأسبوع الماضي أقيم في القاهرة مؤتمران : مؤتمر التفتيش ومؤتمر تدريس العلوم . وإنما أقيم المؤتمران في أسبوع واحد ، لأن « إجازة نصف السنة » هي الفرصة التي تسمح بأن يلتقي المفتشون والمدرسون في القاهرة بلا عناء

وقبل أن نشير إلى أهمية هذين المؤتمرين نسجل أن « الظروف الحاضرة » لم تمنع رجال التعليم من أن يشغلوا أنفسهم بشئون لا يطالبهم بها أحد في هذه الأيام ، وذلك يشهد بأن النزعة العلمية تأصلت في النفوس ، ولم تعد تحتاج إلى بواعث وأسباب . ولو أضفنا إلى ذلك أن مؤتمر تدريس العلوم حضره مندوبان عن وزارة المعارف العراقية : هما الدكتور فاضل الجمالي والدكتور متى عقراوي ، لعرفنا أن أصدقاء مصر في الشرق يتلفتون إلى أخبارها العلمية بأسلوب يستحق الثناء

أقيم الاجتماع الأول لمؤتمر التفتيش في مدرسة فاروق الثانوية ، وألقى فيه الأستاذ سامي بك حسونة كلمة ضافية حدد بها الأغراض المنشودة من التفتيش ، ثم تفرع المؤتمر إلى لجان تدرس ما يعترض التفتيش من مصاعب ومشكلات

وأقيم مؤتمر تدريس العلوم بالجمعية الجغرافية ، وقد افتتحه سعادة الأستاذ شفيق بك غربال بالنيابة عن معالي وزير المعارف الرئيس الفخري للمؤتمر ، وتكلم في اليوم الأول الأساتذة محمد فؤاد جلال وأحمد زكي بك والمستر هملي والدكتور الجمالي والدكتور الكرداني ، ثم استمر في الأيام التالية يقوم بدراسات على جانب عظيم من الأهمية حضرها مئات المدرسين

والمهم هو أن نذكر بصراحة أن الذين حضروا هذين المؤتمرين راعهم أن يشهدوا وثبات فكرية وعقلية تستوجب الإعجاب ، وتجدد الثقة برجال التربية والتعليم في هذه البلاد

وقد لاحظت أن اللغة العربية أصبحت في غاية من المرونة والقدرة على شرح أدق الأغراض ، فقد كان الخطباء يتدفقون بأساليب منوعة الألوان ، وكان تعبيرهم يشهد بأننا نعاصر « لغة علمية » تعرف كيف تحيط بدقائق المعضلات

أما بعد فمن حق من شهدوا هذين المؤتمرين أن يرجوا أن تدوم هذه السنة الحميدة ، وأن تكون « إجازة نصف السنة » فرصة سنوية لإذكاء الأفكار والآراء في التربية والتعليم ، والله بالتوفيق كفيل ، وهو القادر على إثابة أهل الصدق والإخلاص

زكي مبارك

نزع العمائم في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم

قرأت في باب البريد الأدبي من الرسالة الغراء (العدد ٤٢٩ ص ١١٩١) كلمة بعث بها الأستاذ عبد المجيد الساكني من بغداد يسأل فيها الدكتور زكي مبارك عن « البيئة ونزع العمائم » في عرض كلامه عن تأثير البيئة في بعض عادات أهل الأندلس (الرسالة العدد ٤١٨ ؛ ص ٨٦٢ : تأثير البيئة)

وقد وقفت أثناء مطالعاتي على ما له صلة بهذا الموضوع أحببت أن أبينه فيما يلي لأنه يرينا ناحية من مناحي الرسوم المتبعة عند الإسلام بشأن العمامة

قال محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ للهجرة ما هذا نصه : « وكان عيسى [بن عبد الرحمن] كاتب طاهر [بن الحسين] لمّا دخل مجلس الفضل [بن سهل] نزع قلنسوته وجعلها إلى جانبه ، ثم فعل ذلك مراراً ، فقال نعيم بن حازم ليعقوب بن عبد الله ، وكان يعقوب آلفاً لعيسى : إن أبا العباس – يعني عيسى – إذا جلس في مجلس الأمير – يعني الفضل – رفع قلنسوته عن رأسه ، وهذا استخفاف منه بالأمير ، قد أنكره الناس ، وتكلموا فيه ، فأعلمه ذلك ليمسك عنه فيما يستقبل ، فإنه إن عاود دنوت منه ورددتها على رأسه بعنف وإنكار . فقال يعقوب لعيسى ذلك ؛ فقال له : بأيّ شيء رددت عليه ؟ قال قلت له : إنه محرور ، ولعله قد استأذن الأمير في ذلك ، أن كان لا يجهل ما يأتي ويذر . فقال : والله ما بي أني محرور ، وما استأذنت ، ولكني أريد أن يعلم الفضل أولاً ، ثم من حوله أنه أهون عليّ وأدق في عيني ما دام صاحبي – أعزه الله – حيًّا ، من هذه الشعرة – وقلع شعرة من عرف دابته – ومن فوق نعيم ، فضلاً عن نعيم ، أشد تهيباً للاقدام على

بشيء أنكره ، فلا يدخلك من قولهم شيء ، وعرّف نعمتهم ابن حازم ما قلته »(١)

ونظير هذا النبأ ما أورده هلال بن المحسّن الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة ، قال : « وحدثني جدّي (أبو إسحق إبراهيم الصابئ) أن المكّنى أبا الهيثم حضر يوماً في دار عضد الدولة وأخذ عمامته من رأسه ووضعها بين يديه ، ورآه بعض أصحاب الأخبار فكتب بما كان منه ، وخرج أستاذ دار ، فخرّق به وشتمه ، وأخذ العمامة وضرب بها رأسه حتى تقطّعت قطعاً ، ووكل به واعتقله . فسئل فيه عضد الدولة ، وقيل : هذا رجل محرور الرأس ، ولا يستطيع ترك العمامة على رأسه ، وإنما فعل هذا لذاك ، لا لجهل بأدب الخدمة . فبعد مراجعات ما . أمر بإطلاقه »(٢)

(بغداد) ميخائيل عواد

إلى الدكتور زكي مبارك

قرأت بمزيد الأسف ما كتبته في رسالة هذا الأسبوع من حديث تهكمت فيه بمن يدرس اللغات الميتة كما تسميها أنت ، ونعيت فيه على الجامعة المصرية التي تعنى بإحياء ما اندثر وباد وانقطعت صلته بالحياة ، وأنا في هذه الكلمة أضرب صفحاً عما أدخلته في هذه المسألة من جوانب شخصية ، فإن هذا لا يعنيني ، وإنما أنفذ إلى لب المسألة فأقول :

يؤسفني أن أرى الدكتور زكي مبارك — وهو الرجل العظيم الذي أحبه أشد الحب وأعجب بشخصيته أعظم الإعجاب — يتجرد من ثياب العالم الواسع الأفق والباحث الطويل الباع ، وكيف يكون عالماً واسع الأفق وباحثاً طويل الباع من يجهل صلات اللغة العربية بهذه اللغة الميتة ؟ كيف يكون كذلك من يجهل أن خدمة اللغة العربية خدمة صادقة حقاً تستلزم معرفة واسعة بلغات عاصرتها في أجيال طويلة من التاريخ فأثرت فيها وتأثرت بها ؟ بل كيف يكون كذلك من يريد أن يفهم لغة بله أن يدرسها فلا ينظر إلى أخواتها التي تفرعت معها من أصل واحد ؟

هل يصح في أذهان العلماء أن تدرس اللغة العربية دراسة لغوية لا تستند إلى مقارنات شتى بينها وبين العبرية والسريانية وسائر الأخوات ؟ وهل ينكر أثر اليونانية واللاتينية في قاموس اللغة العربية ؟ ثم هل ينكر وجوب دراسة الصلات بين الآداب السريانية والعبرية والأدب العربي ، تلك الصلات التي لم أجد أحداً تنبه إليها حتى الآن إلا البعض القليل ؟ ثم هل ينكر أثر الوراثة الأجنبية فيما نظمه ابن الرومي وأبو تمام ؟

لئن كان الفرنجة يدرسون اللاتينية واليونانية كوسيلة لدراسة لغاتهم ، فنحن يجب علينا أن ندرس اللغات السامية أولاً ثم اللاتينية واليونانية ثانياً لدراسة لغتنا العربية التي نتعشقها ونفنى أعمارنا في خدمتها

السيد يعقوب بكر

حول مقال الأستاذ المازني

يقول الأستاذ في مقاله تحت عنوان « بطولة محمد » في العدد (٤٤٩) الهجري ما نصه :

« فما كان صلى الله عليه وسلم يعنى بالاشتراك في القتال بسيف أو رمح ، وكان يشهد المعارك ويصحب رجاله ، ولكنه لا ينزل إلى الحومة بنفسه ولا يخوض المعمعة مع أنصاره ، وإن كان يوجههم »

وهذا يخالف الواقع والتاريخ ؛ فقد ثبت أنه كرّ على الأعداء في بعض الغزوات كراً عنيفاً قائلاً متحمساً : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وثبت أنه كُسرت رباعيته وجرح حتى سال منه الدم ، فجعل يمسح الدم ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ وفي تفسير الكشاف الجزء الأول ص (٢١٤) في ذكر غزوة أحد ما نصه : « وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وأمّر عبد الله ابن جبير على الرماة وقال لهم : انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا »

---

(١) الوزراء والكتاب (ص ٣٩٤ طبعة مزيك) = (ص ٣١٠ — ٣١١ طبعة السقا والابياري وشلبي) = (ص ٢٠٤ — ٢٠٥ طبعة الصاوي)

(٢) رسوم دار الخلافة (المخطوط ؛ الورقة ١٠٦ أ) ؛ وهو كتاب حققناه وعلقنا عليه وأعددناه للنشر

وفى الجزء الأول من السيرة الحلبية ص (٥٥٠ ، ٥٥١) فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بهن فى وجوه المشركين يمنة ويسرة ، وحين رمى بذلك قال لأصحابه شدوا ، فكانت الهزيمة . وأنزل الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالاً شديداً »

هذا وغيره كثير يدل دلالة واضحة أن رسول الله خاض المعمعة بنفسه وقاتل بسيفه

ابراهيم محمد عيسى
إجازة القضاء الشرعى

مات حتف أنفه

تحت هذا العنوان كتب الأديب خالد الشواف كلمة فى البريد الأدبى بعدد (الرسالة) الأخير تساءل فيها : كيف يمكن التوفيق بين ما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه من قوله : « ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : «مات حتف أنفه»، وما سمعتها من عربى قبله » ، وبين ما روى للسموءل بن عادياء من قوله فى لاميته :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل ؟

وطلب الأديب الإجابة عن هذا السؤال ممن يشاء من القراء فاليه الجواب :

رويت هذه القصيدة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، وهو شاعر إسلامى شامي من شعراء الحماسة . ولئن اعتمدنا هذه الرواية فلا إشكال ... على أن البيت فى بعض الروايات هكذا : (وما مات منا سيد فى فراشه ... الخ)

قال الخطيب التبريزى تعقيباً على هذه الرواية فى شرحه للبيت فى الجزء الأول من الحماسة صفحة ١١٣ ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد : (وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية) . وعليها فالبيت منى بالتحريف ، وكم عدا التحريف البغيض على آثار العبقرية العربية الشاعرة

ولقد ذهب الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » صفحة ١٧٧ الطبعة السادسة ، إلى أن ما روى عن علىّ دليل على أن قصيدة السموءل منحولة كلها أو بعضها ...

ولعل فى هذا ما يكشف الريب **محمد فهيم عبيد**

عام الفيل ومولد الرسول

فى بريد العدد ٤٥١ من (الرسالة) ، يذكر الأديب الفاضل على محمد حسن فى الفقرة الثالثة من كلمته « فى مطالعاتى » أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل الموافق سنة (٥٧٠ م) وبالرجوع إلى العدد ٣٤٩ من (الرسالة) ، نرى الأستاذ البحاثة المرحوم « إسماعيل أحمد أدهم » فى مقالة له عنوانها « عام الفيل وميلاد الرسول » يثبت ويؤكد بالأدلة القاطعة ، أن عام الفيل كان يوافق سنة (٥٤٠ م) ، وميلاد الرسول يوافق سنة (٥٧٠ م) . وهذا يدل على أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل ، وأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه ولد بعد عام الفيل بنحو ثلاثين سنة ، ويوجه فى ختام بحثه أنظار المشتغلين بالتاريخ الإسلامى ، وخاصة أساتيذ الجامعة إلى هذه الحقيقة . وربما أن يكون فى « بحثه هذا » تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين فى العالم العربى ، من أن رسول الله ولد عام الفيل

وبعد . فإلى الأديب الفاضل أقدم هذا البحث القيّم للاطلاع عليه فى ص ٤٥٠ من العدد ٣٤٩ فى السنة الثامنة من عمر « الرسالة » المديد

وإلى جمهرة المؤرخين الأفاضل ، أرجو بسط هذا الموضوع وبحثه على صفحات « الرسالة » الغراء لحيويّته وخطورته بالنسبة لتأريخ مولد سيد العالمين ، وحقيقة صلة هذا الميلاد بعام الفيل

(ديروط) **أحمد محمد فرج**

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٦٨٠٤ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونية سنة ٩٤٠ ضد محمد رفعت عامر سكنه شارع خيرت بتغريمه ١ جنيه لبيعه عدساً يسعر أزيد من التسعيرة .

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين